مـقـدمــة

الحمد لله الـمُعطي الوهَّاب، خلق لآدم من ضلعه حواء، وأنزلهما إلى دار المعبر والفناء، والصلاة والسلام على نبينا محمد، حثَّ أمته على النكاح وتكثير الأولاد، وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان.

أما بعد:

أيَّتها الأخت الكريمة : هذه الدراسة يدٌ حنونة، أحبَّت أن تكون صديقة وفيَّة صادقة مخلصة لك ، تأخذ بيدك في بهجة وحب إلى المستقبل، على بساط من الفضيلة، تُسَيِّرُ هذا البساط إحصاءات عددية، وأحوال حقيقية من الحاضر والماضي القريب؛ لتقعد بك - هذه اليد - على كثبان المستقبل الإيجابية وشُرفاته العَلِيَّة؛ وتنظر معكِ من خلالها إلى فتى أحلامك القادم خلال هذه السنوات، جعلها الله سنوات بهيَّة، وألبسها لباس السعادة الأبدية.

تُرى ما دينـه وأخلاقـه وعقلـه؟ مـا تعليمـه وثقافتـه وشخصيتـه؟ ما سِنُّه؟ ما حُبُّه وعطفه وحنانه؟ ما فُكاهته ودعابته؟ ما جماله وتأنُّقه؟ ما ماله؟ ما جاهه ؟ ما وظيفته ومركزه الاجتماعي؟ ما طوله وعرضه؟ ما منزله ومركبه؟ ما أسرته؟ ما بلده؟

فهيَّا انطلقـي معهـا وفتشي عـن شريـك عُمـرك بنظـر العاقلـة البصيرة 👁 التي لم تُلهها الأماني أو أحلام اليقظة،

ولم تَجعل عاطفتها تغلب عقلها، بل جعلت دينها وعقلها يُسيِّران عاطفتها، ويقودانها بقياد الحكمة، ويكبحانها بزمام البصيرة.

اختيار الزوج والرضا به حق مشروع للمرأة:
إن حقَّ المرأة "في الزواج إكمالٌ لوظيفتها الفطرية وأداء لدورها في الحياة والمجتمع ، وحقها في

اختيار الزوج والرضا به عامل مهم في نجاح الحياة الزوجية"[1]، وقد أعطى الإسلام المرأة هذا الحق، روى ابن عباس - رضي الله عنهما - : «أنَّ جَارِيَةً بِكْرًا أَتَتْ النَّبِيَّ ﷺ فَذَكَرَتْ أَنَّ أَبَاهَا زَوَّجَهَا وَهِيَ كَارِهَةٌ، فَخَيَّرَهَا النَّبِيُّ ﷺ »[2]. وقال ابن قُدامة :"لا نعلم خلافًا في استحباب استئذانها ، فإنَّ النبي ﷺ قد أَمَر به ، ونهى عن النكاح بدونه"[3] ا.هـ. فللمرأة أن تختار - من بين من يتقدم إليها - الإنسانَ الذي تُرْتَضَى أخلاقه ودِينه، وتَشعر أنَّه يُلبي حاجاتها، ويُشبع عاطفتها، وأحاسيسها، ومشاعرها، سواء في ظاهره أو باطنه.

وإنَّ موضوع الزواج واسع، ومسائله متشعبة، لكنَّ هذه الدراسة تُعالج جزئية ترتبط ارتباطًا وثيقًا ومباشرًا بالفتاة نفسها، ولها أكبر الأثر في مستقبلها، وهي قضية الاختيار، أو الموافقة على الراغب في نكاحها أو رفضه؛ لذلك لا تناقش هذه الدراسة العقبات التي تحول دون

---

(1) محمد يعقوب الدهلوي، **حقوق المرأة الزوجية والتنازل عنها**، ط1، (الرياض، دار الفضيلة، 1422هـ)، ص 139 .

(2) رواه أبو داود، ح (2096)؛ وابن ماجه، ح (1875)؛ وصححه الألباني، **صحيح سنن ابن ماجه**، (بيروت، المكتب الإسلامي، 1407هـ)، ج 1، ص315، ح (1520).

(3) عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة، **المغني**، تحقيق: عبد الله التركي، وعبد الفتاح الحلو، ط2، (القاهرة، دار هجر، 1413هـ)، ج 9، ص405 .

زواج البنات، ويكون السبب الرئيس فيها هم الأولياء، أو الأمهات، أو عجز كثير من الشباب عن تكاليف الزواج، أو أعراف المجتمع وعاداته، أو ما جلبته المدنية الحديثة، أو غير ذلك من إفرازات العصر .

بل إنَّها تتناول ما يتعلق بالفتاة الراغبة في السكن والاستقرار والعفاف وبناء الأسرة، فارتباطها بالحياة الزوجية - بالدرجة الأولى - حياتها وحدها[1]، هي التي تذوق حلاوتها، وهي التي تكتوي بنارها، فلا تنتظري من المجتمع أن يضع الحلول لغلاء المهور، أو التقليل من ظاهرة بطالة الشباب، ورفع قدراتهم المالية، أو غير ذلك، بل انطلقي من تلقاء نفسك، ضعي لها الحلول وكثفي أمامها الفرص، وحاولي إقناع من يقف أمامها، إنَّ مشكلتك ومشكلات بنات جنسك ينبغي أن تنبري أنت وهن لها، فالعلاج والأهداف والخطط إنْ عَلَّقْتِها بغيرك لم تَصلُح حالك كثيرًا، وإن انبريت لها، وجعلت الحلول تنطلق منك وحدك وتنتهي إليك وحدك كانت حلولاً ناجعة إلى أبعد الحدود إن شاء الله.

صفات شريك العمر حسب ما تراه الفتيات:

تَطلُبُ الفتاة في شريك عمرها صفات وشروطًا، تهدف

(1) في مسح لآراء عينة مكونة من (310) فتيات، بشأن الجهة المسؤولة عن اختيار الزوج للفتاة، أجابت (147) من العينة، أي بنسبة: (47,4%) : بأنَّ الجهة المسؤولة هي: (الفتاة)، وأجابت (143)، بنسبة: (46,1%) : بأنها: الوالدان . (منى بنت عبد الله الغريبي، **اتجاه الشابات السعوديات نحو القيم الحديثة**، رسالة ماجستير، الرياض، جامعة الملك سعود، 1417هـ)، ص286 .

من توافرها فيه إلى تحقيق أمور متعددة، أهمها ما يلي:

1- الصفات الشرعية، مثل: أن يكون مَرْضِي الخلق والدين.
2- الرغبات الطبعية للفتاة، مثل: الوسامة، والمركز الاجتماعي، والسكن في مدينة أهلها.
3- المصالح الشخصية لها. مثل: المدراسة في الخارج،أو السماح لها بالعمل.
4- التوافق فيما بين الرجل والمرأة؛ حتى تسعد المرأة وتسير سفينة الزواج بأمان، وهي صفات ظنِّيَّة؛ فإنَّه قد يتوافق الزوجان مع عدم وجود مثل هذه الشروط، مثل: السِّنّ، والتعليم، والثقافة.
5- مسايرة الأعراف والأحوال الاجتماعية، مثل: شرط القَبَلِيَّة.
6- تحقيق مطلب خرافي ليس له صحة في الشرع، ويُخالف العقل والفطرة. مثل، التوافق البُرجي[1].

وفيما يلي أغلب الشروط التي ترغبها المرأة في

(1) شرطت إحداهن في المتقدم: أن يكون من برج العذراء؛ لأنه متوافق مع برجها، وهذا الشرط وأمثاله نادر جدًا في بلاد المسلمين ولله الحمد.

الرجـل، استنــادًا إلى استقــراء لآراء مجموعــة مــن الفتيــات السعوديــات، ويُلحظ في بعض الشروط غرابة ومغالاة، وبعضهــا لا تطلبهــا أكثر النساء، وسيجري عرضها هنا حسب ما ذكرنهــا؛ لأنَّ هذه الدراســة موجَّهـة إلى الفتيات كلهن، مهمــا كانت ثقافاتهن وقناعاتهن، ومن المهم هنا أن يُقال: ليست الشروط التي تضعها الفتاة دائمًا صحيحة، ومُحققة لمقاصد الزواج، لكنَّها شروطها، وهي تتحمل تبعتها، فينبغي لها أن تستشير وتستخير على نحو ما سيأتي بيانه بعد عرض الشروط :

الشروط الدينية

مسلم	سُنِّيّ المذهب	متدين ، تقي، صالح	من المحافظين على صلاة الجماعة وبخاصة الفجر
بــــارٌّ بـوالديــه	ملتح	مستقيــــم ليس له لحية!	عــادي التـديــن
يحتــرم المـرأة ويقدرها	يحافـــظ علــى زوجته	قادر على العدل بين زوجاته	غيــــر متشــــدد

		لا يشرب الخمر	غير مدخن

الشروط الإخلاقية

طيب القلب	محبوب من قبل الناس	حميد السيرة والسلوك	ذو أخلاق عالية
حنون	واع	متفهم	محترم
عاقل	كريم	عاطفي	محب
صادق	طموح	هادئ	صبور
متعاون	ناضج	جدِّي	واثق من نفسه
متزن	ذو شخصية قوية	غير عصبي	تفكيره راقٍ

ذو شهامة ونخوة	مرح، خفيف الظل	متمسك بالأعراف الأصيلة الطيبة	يقبل الشورى وتبادل الرأي
يحب الحرية	متسامح	صاحب ذوق	رياضي
يحمل الكثير من صفات الرجولة المفقودة في زمننا هذا	متفتح في أفكاره، غير متزمت فكريًّا واجتماعيًّا	عصري في كل شيء، يواكب تطورات الحياة	يحب التغيير

الشروط الجغرافية

من المنطقة الفلانية	من المدينة الفلانية	يسكن مدينتي
يرضى أن يقيم معي في مدينتي أو يسعى في نقل عملي إلى مدينته	من دولتي	من الدولة العربية الفلانية
سعودي مقيم بالخارج	مسلم حامل الجنسية الأوروبية أو الأمريكية	يسكن في الخارج بضع سنوات

الشروط النسبية والحسبية

قبيلي	من قبيلة عريقة	غير قبيلي	من قبيلتي نفسها
من أسرة كبيرة ومعروفة	من أسرة محترمة		

الشروط التعليمية والثقافية

ذو مؤهل عالٍ	جامعي	متعلم	مثقف
طموح في طلب العلم	على نفس المستوى التعليمي لها أو أعلى	ثانوي وما فوق	يتحدث الإنجليزية
يجيد فن الحوار والنقاش	له اهتمامات علمية في المجال الفلاني		

الشروط العمرية

يناسبها في العمر	بعمرها نفسه	لا يقل عمره عن كذا سنة
لا يزيد عمره عن كذا سنة	لا يكون فارق العمر بينها وبينه أكثر من كذا سنة	

الشروط المالية والوظيفية

غني جدًّا جدًّا	غني	ذو مستوى مادي جيد	ميسور الحال
غير بخيل	قادر أن يعيشها في نفس مستواها المادي	رجل أعمال	ذو مركز مرموق
طالب علم شرعي	طبيب	مهندس	طيَّار
ضابط	مدرس	موظف	يعمل في إحدى سفارات الدولة

			في الخارج

الشروط الاجتماعية

قادر على تحمل المسؤولية وتقديرها	لديه استعداد لتأمين مستقبل المرأة	قادر على أن يمنح المرأة الأمان
يحترم الحياة الزوجية ويُقدِّرها	يوفر للمرأة كل ما تتمناه أي فتاة	لا يرفض للمرأة طلبًا
قادر على توفير سكن خاص مستقل	قادر على توفير خادمة	قادر على توفير سائق
لم يسبق له الزواج	غير متزوج (زوجته متوفاة، أو مطلق، أو عزب)	لا يفكر في التعدد
ليس لديه زوجة ولا أولاد	ليس لديه زوجة ولا مانع من وجود الأطفال معه	لا تُفضِّل أن تكون زوجة ثانية
أن يسمح لها برعاية ابنتها المتوفى والدها	لا مانع إن كان مطلّقًا وعنده طفل واحد فقط	لا يهم إن كان متزوجًا

ذو مستوى اجتماعي جيد	ذو مركز	أن لا يكون الزواج مسيارًا
لا يُمانع من دراسة المرأة أو عملها	جاد في تكوين أسرة	أن يكون متوفى الوالدين
مستقر لا يحب الترحال	معتمد - بعد الله - على نفسه، لا يكون عالة على المرأة أو على أحد	أن يكون متعاونًا ومستعدًا لمساعدة المرأة لبلوغ أعلى درجات الكمال
يشجع المرأة على إكمال دراستها العليا	يحب التسوق	يهوى السفر

الشروط الجسمية

وسيم	غير وسيم (لأنَّها غيورة جدًا)	مقبول الشكل	متناسق الجسم
حسن المظهر	أبيض البشرة	حنطي البشرة	صحيح الجسم
قوي البدن	غير سمين	سمين	طويل القامة
متوسط	عريض	أطول من	لا يقل طوله

القامة	المنكبين	المتوسط	عن كذا سنتيمتر
وزنه كذا كليو غرامًا	يُنجب	عقيم، أو لا يريد إنجاب الأطفال	أنيق يعتني بمظهره ولباسه
نظيف جداً في كل شيء			

تلك كانت أغلب الشروط التي ترغبها المرأة في الرجل، لكن استنادًا إلى نتيجة استبانة منفصلة عن الشروط الآنفة، فقد تركزت الشروط المطلوبة لدى فتيات العَيِّنة في ثلاثة شروط بالدرجة الأولى ، هي : الدِّين ، والتعليم، والوظيفة المحترمة[1] ؛ وسيتضح الموقف الصحيح للفتاة تجاه الشروط المعروضة في الجداول السابقة بعد الفقرة التالية .

ماذا تفعلين عندما يطرق خطيب الباب ؟

إذا تقدَّم لك خطيب، فإنَّه يُسنّ لك فعل ثلاثة أمور: "استخارة الخالق، واستشارة المخلوق، والاستدلال بالأدلة الشرعية التي تبين ما يحبه الله ويرضاه، وما يكرهه

(1) الغريبي، مرجع سابق، ص287 .

وينهى عنه"[1].

الأمر الأول: الاستشارة والسؤال عن المتقدم:

امتدح الله المؤمنين بقوله: ﴿ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ ﴾[2]، وأمر بها نبيه ﷺ مع وفور عقله وسداد رأيه فقال – سبحانه –: ﴿ وَشَاوِرْهُمْ فِي ٱلْأَمْرِ ﴾[3].

قال الإمام الماوردي: "اعلم أنَّ من الحزم لكل ذي لب ألا يبرم أمرًا ولا يمضي عزمًا إلا بمشورة ذي الرأي الناصح ومطالعة ذي العقل الراجح فإن الله تعالى أمر بالمشورة نبيه ﷺ مع ما تكفل به من إرشاده وعونه وتأييده"[4] ا.هـ. فالمرأة العاقلة لا تنفرد برأيها وتترك المشورة، كما أنَّها لا تستشير من ليس أهلاً للاستشارة – سواء كان رجلاً أو امرأة – لحداثة سنه، أو قلة دِينه، أو ضعف رأيه وقلة خبرته، أو عدم نصحه وأمانته، بل تستشير من هو أهل للاستشارة، وهو من يجمع الصفات الآتية[5]:

---

(1) أحمد بن عبد الحليم بن تيمية، **مجموع الفتاوى**، جمع عبد الرحمن بن قاسم، (مكتبة ابن تيمية، د.ت)، ج 23، ص68 . وقد ذكرها ابن تيمية على سبيل العموم في كل أمر مما يُطلب به الخِيرة فعلاً أو تركًا.

(2) سورة الشورى، من الآية: 38.

(3) سورة آل عمران، من الآية: 159.

(4) علي بن محمد بن حبيب الماوردي، **أدب الدنيا والدين**، تحقيق محمد فتحي أبو بكر، ط2، (القاهرة، الدار المصرية اللبنانية، 1411هـ)، ص359.

(5) بتصرف : المرجع نفسه، ص360-362.

1 – العقل والتجربة:

فالتجربة خير برهان على صحة ما يُشار به، وقد يكون صاحب التجربة مرَّ بتجربة فاشلة أو ناجحة، فكلاهما يصلح للاستشارة، وخير مجرب من كان له مِراسٌ في التجربة، مع وعي وملاحظة لما يدور في المجتمع وعدم الغفلة عنه، ومن ذلك: أن يكون المستشار ذا مشاركات متعددة في قضايا الزواج، مثل : أن يكون أبًا أو أمًّا لعدد من الزوجات، أو يكون للمستشار مشاركة في تزويج بعض الفتيات، وحل مشكلاتهن، أو أنَّهنَّ يقصدنه أو يقصدنها؛ يطلبن المشورة. ولا بدَّ مع التجربة من عقل، فإن الجاهل يُعمِّم التجارب، ويتأثر ببعض الأحوال الشخصية والانفعالات النفسية التي تؤدي إلى وصف جانح للتجربة التي مر بها، أو مر بها غيره.

2 – الدين والتقوى:

"فإن ذلك عماد كل صلاح وباب كل نجاح . ومن غلب عليه الدين فهو مأمون السريرة موفق العزيمة"(1).

3 – النصح والود:

فاحذري مشورة حاسد، أو مبغض، أو حقود، أو عدو.

4 – السلامة من الهموم والشواغل:

فإن من تكالبت عليه الهموم والشواغل صرفته عن إبداء

(1) نفسه، ص 361.

الرأي الصحيح .

5 – أن لا يكون للمستشار هوى ورغبة في الشيء المستشار فيه.

فإن ذلك يفسد عليه إبداء الرأي الصحيح، فلا تستشيري امرأة في خطيب تَقدَّم لك، تظنين أنَّ لها ميلاً إليه، ورغبة فيه .

فإذا وجدْتِ من استكمل هذه الخصال الخمس فإنَّه أهل للمشورة، ومعدن للرأي، فلا تعدلي عن استشارته اعتمادًا على ثقتك برأيك؛ فإن رأي غير ذي الحاجة أسلم، وهو من الصواب أقرب؛ لخلوص الفكر، وخلو الخاطر، مع عدم الهوى والانسياق وراء الشهوة[1]؛ وإنَّه قد يتقدم إليك الكبير ، ومن ليس في مستواك، ومن به عيوب، فالقرار الجيد – سواء في رفضهم أو قبولهم – يحتاج إلى استشارة .

وإنْ بابُ أمر عليك الْتوَى ** فشاور لبيبًا ولا تعصِهِ

وليس شرطًا محتمًا في المستشار أن تجتمع فيه كل هذه الأمور بحيث إذا نقصت خصلة تركتي المشورة، وإنَّما القصد أنَّ هذه أعلى أنواع المشورة وأحسنها، والمحققة لأصوب الآراء.

ولكِ أن تتوجهي بطلب المشورة مباشرة إن لم يكن في ذلك محذور، أو تطلبيها بواسطة قريب من المستشار، كزوجته وأخته.

(1) بتصرف : نفسه، ص 362.

أمَّا السـؤال عـن المتقدم فمن اختصاص الرجال - في الغالب - فينبغي على الولي أن يتحرى السؤال جيدًا عن أحواله، فيسأل جيران مسكن المتقدم، وإمام المسجد والمؤذن في حيه، وزملاء عمله، ورفقاء سفره واجتماعه، ويُكَوِّن من آراء هؤلاء جميعهم رؤية عامة عن الشخص، ويتجنب سؤال القريبين جدًا: كأبيه، وأخيه، وأمه، وأخته؛ فإنَّهم قد يكتمون عيبًا، ولا ينطقون حقًا؛ وإذا كان الناس يتفاوتون في حكمهم على الأشخاص، فمن حِكمة الولي أن يسأل أسئلة محددة، يستطيع من خلالها أن يحكم عليه بنفسه؛ وليحاول الولي أن يُنهي مسألة السؤال في غضون أسبوعين، وأن لا تزيد عن ذلك ما أمكن؛ إذ من حقوق الخاطب أن لا يُتأخر في جوابه .

وبعض الأسر المتساهلة تجعل مع السؤال عن الشخص - أو بدلاً عنه - تكوين علاقات بينه وبين ابنتهم؛ للتَّعرف على أخلاقه وطباعه، **فكوني أنتِ ذكية وارفضي هذا التَّعرف**؛ فإن الرجل في هذا الموضع يتكلف أخلاقًا ليست له، ويصطنع مشاعر ليست لديه، ويملك نفسه ويسيطر على غضبه بصورة لا يفعلها في الحياة الحقيقية؛ إضافة إلى أنَّ هذا التَّعرف بين الذكر والأنثى- بصورته الحالية - يأباه ديننا وينهى عنه .

الأمر الثاني: الاستخارة :

وهي دعاءٌ له صيغة معيَّنة، يَطلب فيه المسلم من ربِّه أن

يختار له ما فيه الخير له في حاضره ومستقبله، وذلك بعد أن يصلـي ركعتيـن ، وقد رَوى صيغـة هـذا الدعـاء جـابر بن عبد اللَّه - رضي الله عنهما - حيث قال : كان رسولُ اللَّهِ ﷺ يُعَلِّمُنَا الاستخارةَ في الأمورِ كُلِّها , كالسُّورة من القرآن، يقول: «**إذَا هَمَّ أَحَدُكُمْ بِـالأَمْرِ فَلْيَرْكَعْ رَكْعَتَيْنِ مِنْ غَيْرِ الْفَرِيضَةِ ، ثُمَّ لِيُقَلْ : اللَّهُمَّ إنِّي أَسْتَخِيرُك بِعِلْمِك ، وَأَسْتَقْدِرُك بِـقُدْرَتِك ، وَأَسْأَلُك مِنْ فَضْلِك الْعَظِيمِ ، فَإِنَّك تَقْدِرُ وَلا أَقْدِرُ ، وَتَعْلَمُ وَلا أَعْلَمُ ، وَأَنْتَ عَلامُ الْغُيُوبِ . اللَّهُمَّ إنْ كُنْت تَعْلَمُ أَنَّ هَذَا الأَمْرَ [يُسمِّي حاجته] خَيْرٌ لِي فِي دِينِي وَمَعَاشِي وَعَاقِبَةِ أَمْرِي ... فَاقْدُرْهُ لِي وَيَسِّرْهُ لِي ، ثُمَّ بَارِكْ لِي فِيهِ، وَإِنْ كُنْت تَعْلَمُ أَنَّ هَذَا الأَمْرَ [يُسمِّي حاجته] شَرٌّ لِي فِي دِينِي وَمَعَاشِي وَعَاقِبَةِ أَمْرِي ... فَاصْرِفْهُ عَنِّي وَاصْرِفْنِي عَنْهُ . وَاقْدُرْ لِي الْخَيْرَ حَيْثُ كَانَ ، ثُمَّ رَضِّنِي بِـهِ**»[1] .

وبعد ذلك اعزمي على ما تنشرح نفسك إليه؛ فإنَّك إذا استَشَرت ثم استَخَرت كنت من التوفيق أدنى وأقرب؛ فما ندم من استشار ولا خاب من استخار.

الأمر الثالث: الاستدلال بالأدلة الشرعية:

عندما تختار الفتاة من تلك الشروط فإنَّها ترجو من وجودها في الزوج تحقق السعادة والنجاح والتوافق في الحياة الزوجية، وتجنُّب التدهور والمشكلات، لكن عندما

---

(1) رواه البخاري، ح (1166، 6382، 7390) .

ننظر إلى الواقع: نجد أنَّه قد فشل زواج عددٍ من اللاتي حصلن على أزواج بالشروط التي يُردنها: مال، وحَسَب، ووسامة، وغيرها؛ وهذا يدعو إلى التساؤل: هل هناك مقياس عامٌّ يمكن أن تقاس به الخصال المحققة للسعادة الزوجية ؟

وفي الجواب عنه يُقال: ليس عيبًا أن تختار المرأة ما شاءت من الخصال والشروط الصحيحة التي ترى فيها سعادتها؛ لكنَّ كثيرًا من الخصال والشروط مع سوء خلق الزوج، لا تستقيم الحياة بها، إنَّما بالدِّين والخُلق الحسن تستقيم الحياة، حتى لو فُقِدَت الخصال الأخرى إذا كانت المرأة قنوعة صبورة، كما أنَّ الأصل في الدِّين والخُلق: أنَّهما ينموان ويزيدان مع الإنسان، بخلاف أكثر الخصال الأخرى فإنَّها عُرضة للنَّقص والزوال والتغير؛ ولذلك نوَّه النبي ﷺ بأهميتهما، وجعلهما المقياس الصحيح، الذي يقيس به الولي والمرأة قبول الخاطب أو رَدّه . وعليه: **فلو اقتصرتْ الفتاة على شرطي النبي ﷺ : (الخُلق، والدِّين)**، واستطاعتْ أن تصبر خلال عيشها مع زوجها على فقدان بعض الشروط الأخرى **فلتَسعدنَّ في الدنيا والآخرة** .

وفي مسألة **(الاستدلال بالأدلة الشرعية)** هناك أمور أخرى قد بيَّنتها شريعتنا الغرَّاء تساعد في حُسن التعامل مع الشروط، سيأتي بيان بعضها في مواضع متفرقة من هذه الدراسة، كما يمكن الاستزادة في هذا المجال من بعض المحاضرات والدورات المخصصة التي تُعقد من حين لآخر، وبسؤال أهل العلم، والرجوع إلى بعض المراجع

المتخصصة، ومنها (باب النكاح) في كتب الحديث والفقه.

تلك الأمور الثلاثة: الاستشارة، والاستخارة، والاستدلال بالأدلة الشرعية، مهمة في اتخاذ القرار، ويُخاف على من تتركها الفشل في مشروعها؛ لدخولها في الأشياء بنفسها، دون الامتثال للسُّنَّةِ المطهرة، التي دلَّت على تلك الأمور الثلاثة، وما أحكمته في ذلك؛ فسُنَّة النبي ﷺ لا تُستعمل في شيء إلا عمَّته البركات، ولا يخلو منها شيء إلا حصل فيه ضد ذلك، نسأل الله السلامة وحسن الاتّباع .

ويُضاف إلى ذلك التخطيط الواعي، الذي يُدرك واقع المجتمع وأحواله، وهو المشروح فيما يلي :

التخطيط الواعي في اختيار شريك العمر:

كيف تختار المرأة من تلك الشروط المعروضة في الجداول السابقة؟ وهل يمكن لها أن تختارها كلها بعد حذف المكرر والمتعارض وما لا ترغبه؟

والإجابة عن هذا تحتاج إلى تفصيل، هو لُبُّ هذه الدِّراسة وثمرتها، وأساس التخطيط الواعي الذي تدعو إليه، وترى أنَّه يحقق مستقبلاً سعيدًا للمرأة إن شاء الله تعالى، وهو نوع من المشورة التي تُقدَّم إلى كل فتاة .

ينبني هذا التخطيط على حقائق مهمة ينبغي أن تستحضرها الفتاة في قلبها وعقلها باستمرار، وهذه الحقائق هي :

1 - أنَّ الزواج أحد مظاهر الأرزاق التي يقسمها الله كيف يشاء، كما هو الحال في كل شؤون الحياة، والله وحده هو الذي يُعطِي الرزق وهو الذي يمنعه، ولو

اجتمع أهل الأرض على أن يُقدِّموا لامرأة زوجًا لم يكتبه الله لها لما استطاعوا، ولو اجتمعوا على أن يحرموها من زوج قدَّره الله لها فلن يجدوا إلى ذلك سبيلا.

2 - أن الله - لحكمة يريدها - قد يبتلي المرأة بحرمانها من الزواج بالشروط التي تريدها، أو يحرمها من الزواج نهائيًا ولو لم تشترط شروطًا، قال تعالى: ﴿ وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً ۖ وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴾[1]، قال ابن كثير: "أي نختبركم بالمصائب تارة وبالنعم أخرى فننظر من يشكر ومن يكفر و.من يصبر ومن يقنط"[2].

وإنَّ بقاء المرأة بلا زواج لا يُخِلُّ بأهميتها وحاجة المجتمع لها، فهناك الكثير من المهام والأنشطة الاجتماعية والإنسانية التي يمكن أن تقوم بها .

3 - كم من امرأة دميمة تزوجت بأحسن الرجال الذي تتمنى مثله كل فتاة، وكم من امرأة مطلقة بأولاد وبدونهم، وكم من كبيرة، وكم من أرملة ذات أولاد ارتبطت كل واحدة منهن بمثله، لكنَّ هذا ليس

(1) سورة الأنبياء، من الآية: 35 .
(2) إسماعيل بن كثير الدمشقي، **تفسير القرآن العظيم**، (بيروت، دار المعرفة، 1407هـ)، ج 3، ص187.

الأغلب، بل الأغلب ارتباطهنَّ برجال تقلُّ فيهم الشروط التي ترغبها المرأة، أو بقاؤهن بلا زواج، والمرأة العاقلة اللبيبة إنَّما تبني أحكامها وتخطيطها وقراراتها على الأعمِّ الأغلب وليس على القليل والنادر .

4 - لِتَعْلَم الفتاة أنَّ كل ما يحصل لها هو قضاء وقدر، يجب عليها التسليم به وعدم تسخطه، وأن تحمدَ الله على كل حال، **لكنْ عليها بذل الأسباب الممكنة لتَخرج من قدر إلى قدر**، كما قال عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – **"نَفِرُّ مِنْ قَدَرِ اللَّهِ إِلَى قَدَرِ اللَّهِ"**[1]، وهذا ما سنُوضِّحه (المرحلة الرابعة) الآتي ذكرها بعد قليل[2] .

5 - أنَّ الشاب غالبًا ما يُفضِّل الزواج بالفتاة الصغيرة، ولا يتجاوزها إلى الأكبر إلا عندما تقل الخيارات أمامه، أو تستهويه بعض المميزات في بنات العشرين، وحتى من لديه زوجة وعمره دون الخمسين لا يُفضِّل أن يتزوج من بلغ عمرها الثلاثين سنة، بل يبحث عن الأصغر في بلده فإن لم يجد فأرض الله واسعة! هكذا يُفكِّر كثير منهم .

6 - أنْ تَعْلم المرأة أنَّ الزواج عبادة إذا نَوَتْ به نية

(1) رواه البخاري، ح (5729)؛ ومسلم، ح (2219).
(2) ص 33.

صالحة، ويحصل به أيضًا كثير من العبادات، شَرَعَه الله - سبحانه- لتسكن النفس وتطمئن، ويرتاح البدن ويستقر، وتلتقي المودة والرحمة بين الزوجين، ويستمر بلقائهما النسل في بيئة سليمة، والزواج تكاليف ومسؤولية؛ فليكن تفكيرك إيجابيًّا، فليس الزواج قصة عاطفية حالمة، بل هو مشروع جاد **لا بُدَّ فيه من الاستعداد لتحمل المسؤولية والصبر على أدائها**، واعلمي أنَّ عددًا من النساء كان سبب طلاقهن غياب هذا التفكير من حياتهن .

7 - البشر ليس فيهم من هو كامل، بل النقص والقصور صفة لازمة لهم، تقلُّ عند بعضهم وتكثر لدى آخرين، **فلا تنتظري رجلاً كاملاً** .

8 - أنَّ نسبة الخصوبة لدى المرأة تصل إلى القِمَّة عند سنِّ الخامسة والعشرين، ثم تقلّ تدريجيًّا حتى تقف عند سن اليأس، أي: أنَّ نسبة الحمل بعد سنِّ الخامسة والعشرين تتناقص تدريجيًّا عند من يُردن الإنجاب لأول مرة، وذلك نتيجة للاضطرابات الهرمونية التي تحدث في سن الإنجاب المتأخر؛ وبذلك تزيد نسبة العقم عند المرأة كلما اقتربت من سنِّ الأربعين، كما أنَّه كلما كبرت المرأة تكبر معها البويضات؛ مما يؤدي

إلى زيــادة نسبــة الأطفــال (المنغوليين)[1] لديها، فإنَّه يُولد طفل (منغولي) من بين (32) طفلاً سليماً للنساء اللاتي يلدن في سن الخامسة والأربعين، أمَّا في سن الأربعين فيُولد طفل من بين (109) أطفال سليمين، وفي سن الخامسة والعشرين: طفل من بين (365) طفلاً سليماً[2]؛ أي أنَّه كلما كانت المرأة عند الإنجاب أصغـــر قلَّــت نسبـــة ولادتهـــا طفـــلاً منغوليًّــا، وكلمــا كانت أكبر ازدادت نسبـــة ولادتها لهذا النوع .

9 - من خــلال الاطــلاع علــى بعــض أحــوال المجتـــمع وقصص كثير من العوانس، لوحظ أنَّه يغلب على المتقدمين لخطبة المرأة في السنين الأولى توافر كثير من الشروط التي ترغبها الفتاة فيهم، ثمَّ مع تقدم السنين تبدأ تقلُّ الصفات المرغوبة في المتقدمين شيئًا فشيئًا وبخاصة عندما تبلغ المرأة سن الخامسة والعشرين، ثم يبدو على

(1) الطفل المنغولي: له "ملامح مميزة كالعين المنغولية، والشعر الخفيف، والرأس الضخم، والأطراف القصيرة، والقدرة العقلية المحدودة التي تصل أحيانًا إلى الضعف العقلي". (مجموعة من أساتذة الطب، **الموسوعة الطبية**، الشركة الشرقية للمطبوعات، 1991م، ج 8، ص 1367) .

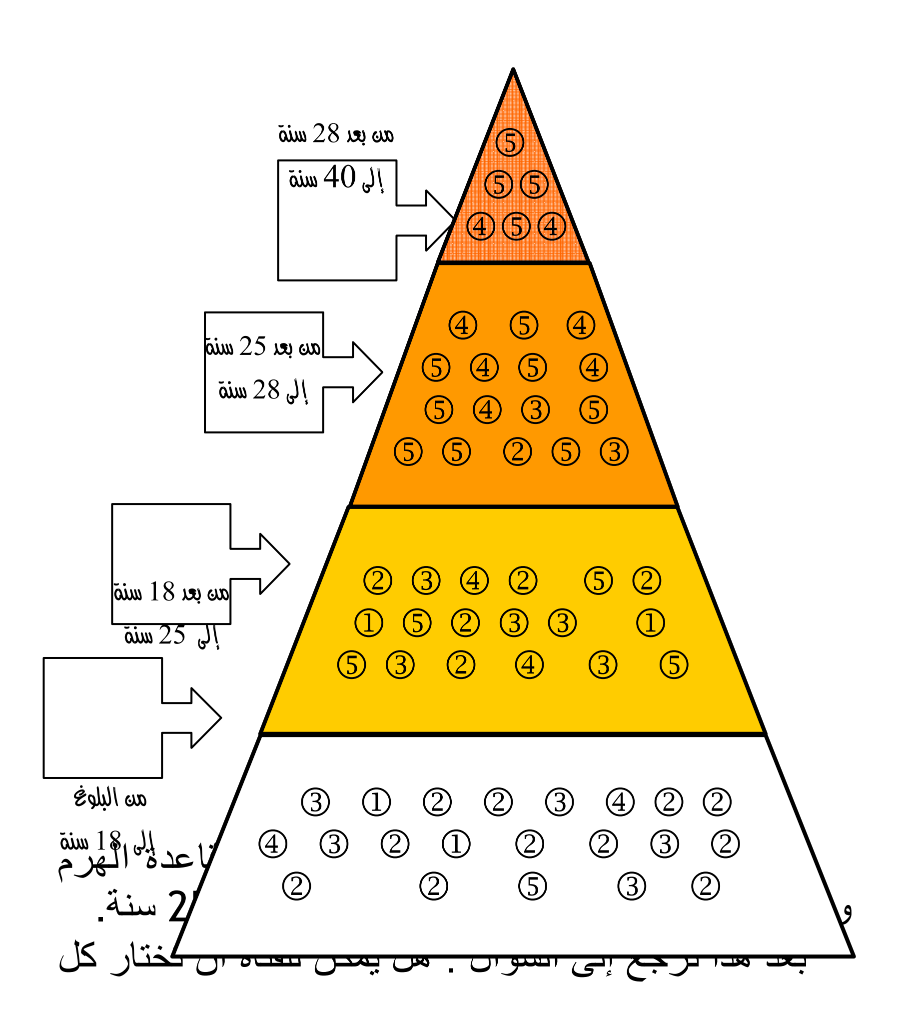
(2) بثينـة السيد العراقـي، **أسـرار فـي حياة العانسات**، (الرياض، دار طويق، 1417هـ)، ص 49- 50، نقلاً عن الدكتورة فتحية إبراهيم الجامع المختصة في أمراض النساء والولادة.

المتقدمين بعض العيوب في نظر المرأة، مثل: أن يكون لديه زوجة أو أكثر، أو يكون لديه أولاد، أو به عاهة أو مرض، أو أنَّه كبير، ونحو ذلك، حتى تصل إلى وقت تنتظر فيه أن يتقدم أحد لخطبتها فلا تجد، وإذا بهم قد انصرفوا جميعًا وزهدوا فيها كلهم، سليمهم ومعيبهم . فإذا كانت المرأة ترغب أن يكون في زوجها بعض الصفات المحببة إلى نفسها في حدود المعقول، فليكن زواجها في سن مبكر قبل سن المرحلة الجامعية . وتذكَّري عندما يأتي (خطيب) هذا الهرم s :

لاحظي أنَّ قاعدة الهرم من الأسفل عريضة ثم تضيق فتضيق إلى أن تنتهي بالرأس، أي: أنَّه يضيق كلما اتجهنا إلى الأعلى، حيث يصل إلى نهايته فلا خطيب هنالك، وفيما يلي بيان الرموز المستخدمة في الهرم الآتي:

- خطيب فيه أكثر الصفات المرغوبة لدى الفتاة ويرمز له في الهرم بـ ①
- خطيب فيه بعض الصفات المرغوبة لدى الفتاة ويرمز له بـ ②
- خطيب ليس فيه صفات مرغوبة لدى الفتاة؛ لكنه ليس لديه زوجة ويرمز له بـ ③
- خطيب فيه بعض الصفات المرغوبة لدى الفتاة؛ لكنَّه متزوج ويرمز له بـ ④

- خطيب ليس فيه صفات مرغوبة لدى الفتاة ومتزوج أيضًا ويرمز له بـ ⑤



و ... قاعدة الهرم

... 25 سنة.

بعد هذا نرجع إلى السؤال . هل يمكن للفتاة أن تختار كل

الصفات الحسنة التي ترغبها في فتى أحلامها ؟

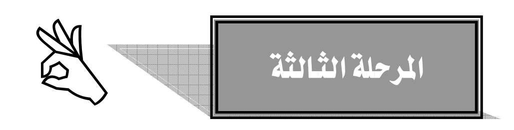
والإجابة عنه: أخبريني كم عمرك ؟ أخبرك بالإجابة؛ إذ إنَّ طريقة الاختيار مرتبطة بالعمر، والاختيار مقسم على أربع مراحل عمرية، لكل مرحلة طريقتها الخاصة، على النحو التالي:

المرحلة الأولى

إنْ كان عمرك ثماني عشرة سنة فأقلّ، ولا تخشين على نفسك المعصية، فلك الاختيار المطْلَق من الشروط الصحيحة، فاختاري أيَّة شروط تريدين، دون خوف عليك من المستقبل إن شاء الله.

المرحلة الثانية

وإن كان عمرك أكثر من ثمانية عشر عامًا إلى خمسة وعشرين عامًا، فلك اختيار بعض الشروط وليس كلها، وهي الشروط المعقولة المتوافرة في كثير من الشباب في زمانك، واستبعاد كل شرط قد يكون عائقًا أمام الزواج، مهما كان هذا الشرط محببًا إليك.



وإن كان عمرك ما بين الخامسة والعشرين إلى الثامنة والعشرين ، فلك أمران معًا ، الأول : الاختيار من شرط واحد إلى ثلاثة شروط على الأكثر 🗎 ، والثاني : الرضى ببعض العيوب التي لا تتطلب تقديم تنازلات منك عن حقوقك، وتلك العيوب مثل: كونه أقلَّ منك تعليمًا، أو أقل منك اجتماعيًّا، أو أنَّ لديه زوجة، ونحو ذلك.

المرحلة الرابعة

أمَّا إن كنتِ قد بدأتِ بسنِّ الثامنة والعشرين فأكثر فإنَّك تنتقلين هنا إلى مرحلة جديدة مختلفة كليًّا عن المراحل السابقة، وهي مرحلة تقديم التنازلات، كما هي موضحة فيما يلي :

إذا كانت الفتاة تريد تحقيق مصالح بزواجها، ودرء مفاسد البقاء بلا زواج وقد يطول أمده حتى تسقط كليــًّا من أعين الرجال، فلا بُدَّ لها من التخلي عن أكثر الشروط، مع تقديم التنازلات وتوفير التسهيلات؛ فذلك أدعى لقبول الرجل بها، كما أنَّ تنازلها "عن بعض حقوقها تيسيرًا على زوجها، يبعث على سير الحياة الزوجية، سيرًا سهلاً هينًا، يجعل الخير والبركة في الحياة الزوجية"[1]، قال رسول الله ﷺ: «خَيْرُ النِّكَاحِ

(1) الدهلوي، مرجع سابق، ص 13 .

أَيْسَرُهُ))[1].

وقد أباحت الشريعة الإسلامية للمرأة أن تتنازل عن بعض حقوقها التي قد لا تكون بحاجة ماسة إليها، وتكون المطالبة بها حجر عثرة في طريق زواجها؛ فسهَّلت الشريعة بذلك طريق الزواج[2]، قال تعالى: ﴿ وَإِنِ ٱمْرَأَةٌ خَافَتْ مِنۢ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَآ أَن يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا ۚ وَٱلصُّلْحُ خَيْرٌ ۗ وَأُحْضِرَتِ ٱلْأَنفُسُ ٱلشُّحَّ ۚ وَإِن تُحْسِنُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴾[3]، قال السيوطي: هذه الآية " أصل في هبة الزوجة حقها من القَسْم ونحوه"[4].

ووضع الفقهاء شروطًا لصحة التنازل، وهي ما يأتي[5]:

(1) رواه أبو داود، ح (2117)؛ وصحح إسناده الألباني، **سلسلة الأحاديث الصحيحة**، ط2، (الرياض، مكتبة المعارف،1407هـ)، ج4، ص457-458، ح (1842) .

(2) الدهلوي، مرجع سابق، ص 7 .

(3) سورة النساء، الآية: 128.

(4) عبد الرحمن السيوطي، **الإكليل في استنباط آيات التنـزيل**، (بيروت، دار الكتب العلمية، د.ت)، ص82.

(5) الدهلوي، مرجع سابق، ص 102- 104 .

الشرط الأول : أن تكون الزوجة أهلاً للتنازل، فلا يصح تنازل الصغيرة غير البالغة، ولا غير الرشيدة.

الشرط الثاني : أن لا تكــون الزوجـــة محجـــورًا عليهـــا لسَفَــه أو دَين.

الشرط الثالث : أن تكــون ذات إرادة، فيصــدر التنــازل منهــا بكامل رغبتها، ومن غير إكراه لها، فلا يصح التنازل من الزوجة المُكرَهة.

الشرط الرابع : أن لا تكون الزوجة مريضة مرض الموت، إن أرادت التنازل عن حقها المالي، فلو تنازلت عن صداقها لزوجها وهي في هذه الحال لم يصح.

الشرط الخامس : أن تكون مالكة لما تتنازل عنه، فلا يصح تصرفها بالإسقاط ونحوه لحق لم يثبت لها أصلاً، كتنازلها عن المهر أو النفقة قبل العقد.

بعض الضوابط في التنازل:

ليس المقصود من التنازلات هنا أن تُلقي المرأة بنفسها إلى أول خاطب من غير تدبر أحواله؛ فتهرب من مشكلة العنوسة أو الخوف منها إلى مشكلة الطلاق أو سوء العِشْرَة، أو تُلقي بنفسها إلى مأساة ! بل كما قيل: عليها أن تفتح عينيها الاثنتين قبل الموافقة، وتُغلق واحدة بعد الزواج، فلابُدَّ من السؤال عن المتقدم ومعرفة أحواله وأخلاقه، وأن يكون لدى المرأة استعداد لتحمل ما يترتب على هذه التنازلات من

نتائج، والصبر عليها، كما أنَّ هناك شرط لا يجوز للمرأة التنازل عنه بحال من الأحوال: وهو أن يكون مسلمًا من أهل السنَّة والجماعة، ويقتضي هذا أن يكون مؤديًّا للصلوات الخمس، أما بقية الشروط فإنَّها أمور اعتبارية بين الأشخاص، وليست أمورًا شرعية محتَّمة، فللمرأة ووليها المطالبة بها أو التنازل عنها، حسبما يرونه من مصلحتهم، كما أنَّ هناك من العيوب ما لا يحسن التغاضي عنه بأيِّ حال، مثل: أن يكون مدمن مخدرات، أو يكون مشتهرًا بسوء الخلق وخشونة العِشرة؛ فالقبول بمثل هؤلاء لا يحلُّ مشكلة المرأة بل يزيدها .

في التنازل أجر وثواب:

تنازل المرأة عن بعض حقوقها، كثيرًا ما يكون مندوبًا إليه، أي: أنها تُثاب وتُؤجر عليه عند الله، وبخاصة إذا كان التنازل من أجل تحصيل منفعة شرعية، مثل: رغبة المرأة في عِفَّة نفسها وقد انصرف الخُطَّاب عنها، ورغبتها في تحصيل الولد، وتيسيرها على مُعسر أو مُعوِز من الشباب الذين لا يستطيعون تكاليف النكاح، وأحيانًا يكون التنازل واجبًا عليها؛ وذلك إذا خشيت الوقوع في الحرام ولم تجد طريقًا إلى الزواج إلا بالتنازل عن بعض الحقوق، فما لا يُدرك الواجب إلا به فهو واجب.

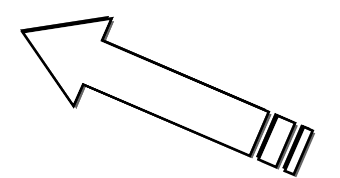
اختاري زوجك:

إنَّ اختيار المرأة الزوج المناسب لها حقٌ من حقوقها المشروعة، ويكون أحيانًا بعرض نفسها عليه – وهو أمر

مشروع لا عيب فيه، لكنَّه خطير في هذه الأيام؛ نظرًا لتفنن الفساق في خداع المرأة بالزواج، ومكرهم بالضغط عليها ببعض الأساليب إلى أن تقع معهم في الرذيلة مع ثقتها فيهم – فالأسلم أن تعرض نفسها على إحدى قريبات الرجل، أو أن يتولى العَرض وليها، وقد يكون العرض مباشرة على الشخص المراد، كما فعل عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - والتابعي سعيد بن المسيب - رحمه الله- وغيرهما، أو يكون بوسيلة مناسبة، مثل: عرض الموضوع على بعض جمعيات مساعدة الشباب على الزواج، أو بعض الأخيار من الدعاة، والقضاة، وأئمة المساجد، وغيرهم من الموثوقين .

أمثلة لفن التنازل:

فيما يأتي بعض المرغبات والتسهيلات، وبعضها صالحة لأن تدرجها المرأة في شروطها في المراحل الأولى لها قبل سِنِّ العشرين وبعده، وللأسف ! قليل جدًا من النساء عندنا يُجدن فن التنازل؛ لذلك اضطُررتُ إلى إضافة بعض المرغبات، ومشورة بعض النساء فيها، وهي قابلة لأن تضيف المرأة إليها ما تشاء من فنون التنازل، فيما لا يخالف أحكام الشريعة الإسلامية:



امثلة لتقديم التنازلات وتوفير المرغبات والتسهيلات

لا مانع أن أكون زوجة ثانية	لا يهم إن كان متزوجًا	لديَّ الاستعداد لرعاية أطفاله وتربيتهم
أرضى بزواج	لا مانع أن أكون زوجة	لا مانع أن أكون زوجة

(1) زواج المسيار: هو زواج شرعي مستوفى الشروط، يجري فيه تنازل المرأة – باختيارها - عن حقها في المبيت والقَسْم بالدرجة الأولى، فيأتيها الزوج متى شاء، ويغيب عنها ما شاء، وقد تتنازل أيضا عن السكنى والنفقة . ولا يُنصح بهذا الزواج لكل امرأة، بل زواج المرأة بمن لديه ثلاث

ثالثة	رابعة	المسيار[1]
لا مانع من السكن مع والدته	لا مانع من السكن مع والديه	لا مانع من عدم وجود الخادمة
لا ما نع من الزواج من غير قبيلي	لا تهم النواحي المادية وغيرها	مستعدة للمشاركة في تأثيث المنزل بعد الزواج
مستعدة لتأمين المنزل بعد الزواج	مستعدة لتحمل مصروفات البيت بعد الزواج	مستعدة لترك العمل أو الدراسة
نكتفي باحتفال أسري للزواج	أقبل الزواج من فقير	أقبل الزواج من مريض
أقبل الزواج ممن به عاهة	أقبل مهرًا يسيرًا	...

إن مرحلة تقديم التنازلات هي فرار من قَدَرٍ إلى قدر، وسلوك لأسباب السلامة:

ترجو النجاة ولم تسلك مسالكها
إن السفينـــة لا تجـري على اليبس

فعلى الفتاة أن تعلم أنَّ الحياة الاجتماعية المعاصرة قد تغيَّرت أحوالها، وصعبت مسالكها؛ الأمر الذي يؤكد ضرورة التنازل عن كثير من الشروط، لاسيما أنَّه قلَّ إقبال الشباب على الزواج؛ بسبب عوامل مختلفة .

نساء خير لها منه والله أعلم، وإنما يصلح المسيار لمن لها ظروف خاصة رأت أن هذا النوع من الزواج يتلاءم مع حالها، ويُنجح مقاصدها، مثل: امرأة مريضة ترغب في البقاء في كنف أهلها؛ ليرعوها ويهتموا بها، أو امرأة انصرف عنها الخطاب وترغب في الحصول على ذرية، ولا يهمها بعد ذلك الاستقرار العاطفي والنفسي .

كيفية التنازل عمليًّا:

قد تقول الفتاة : أنا مقتنعة بالتنازل، لكن كيف يحصل في الواقع ؟

فالجواب: أنَّه يحصل بعدد من الوسائل، أهمها ما يلي:

1 - أن يكون قبولك الخاطب والرضى به على حَالِهِ، يستلزم التنازل والبذل من قِبلك؛ فتكون يدك هي العليا ، فالقبول وحده فيه كثير من التنازل .
2 - أنَّ الخاطب نفسه يطلب أن تتنازل المرأة عن بعض الأمور، وهنا يَنتظر منها القبول بذلك.
3 - أن تُكلِّم المرأة وليَّها أو من يقوم مقامه، وتخبره باستعدادها للتنازل عن عدد من الأمور.
4 - أن تَنشر المرأة في المجالس النسائية التي تحضرها استعدادها للتنازل، وتذكر أمثلة له، وتُبيِّن أنَّ هذا يُعدُّ وجهة نظر لها، تتبناها بنفسها، وتَنصح بها غيرها.

المستثنيات من المراحل السابقة:

لبعض الفتيات أحوال خاصة تتطلب أن لا يكنَّ كغيرهن، مثل: الإعاقة، وقلة الجمال أو (الدَّمامة)، والمرض، والطلاق، ومن تخشى على نفسها الوقوع في الحرام، أو مَن تَكون أُسرتها مغتربة وقليلة الاختلاط بالناس. فإنَّهن ونحوهن ينبغي عليهن عند تعاملهن مع المراحل الأربع المذكورة هنا أن يضفن إلى أعمارهن ست سنوات، أو ثماني، أو عشرًا، فمن تبلغ من العمر (19) عامًا، يكون

حكمها هنا حكم من تبلغ (26 أو 29) عامًا؛ حسب درجة ما لديهن من تلك الصفات التي تصرف الـخُطَّاب عنهن.

فوائد العمل بهذا التخطيط :

إنَّ هذا التخطيط الواعي بمراحله الأربعة يؤكد أنَّه ينبغي للمرأة كلما مضت سنة من عمرها، أن تُعيد النظر في شروطها، وتقوم بترتيبها من جديد، وتحذف منها، وقد يقتضي الأمر أن تُغيِّر من طريقة حياتها هي في حدود الضوابط الشرعية، أو يكون لديها استعداد للتغيير، بما ترى أنَّ له أثرًا في تعزيز قبول الخاطب بها بعد التغيير، مثل: أن تكون عاملة وتشترط: أن يُوفِّر خادمة تقوم بالطبخ وعمل المنزل، وترى أنَّ هذا الشرط كان سببًا في هروب الخطَّاب عنها، فتبحث عن طريقة تستغني بها عن الخادمة، أو تُغيِّر عملها، أو تُبدي استعدادها لتركه؛ لتقوم هي بأعمال البيت ومهامه. ومن مظاهر التغيير أيضًا: أن تحرص الفتاة على التحلي – حقيقة لا ظاهرًا – بالصفات المرغوبة لدى الرجال، فتكون معروفة بالدِّين، والتستر والعفاف، والمحافظة على الصلوات، والتحلي بحسن الخلق وطيب المعشر، وجمال الأدب، والنظافة، وإجادة أعمال المنزل، ومراعاة أصول الكلام الشرعي مع غير المحارم، وقلة الخروج إلى الأسواق؛ حتى إذا سألوا عنك، ذكروا لهم هذه الأمور الحسنة .

إنَّ التزام هذه الخطة في قبول فتى أحلامك أو رَجُل واقعك يُعطيك نظرة 👁 صحيحة للحياة ☑ ، وإن كنتِ

ممن تقدم بهنَّ العمر فبلغت الثامنة والعشرين، وتقدَّم إليك رجل لا يتوافر فيه شيء من شروطك غير الدين، وقد يكون لديه زوجات، فإنَّ قبولك به يكون فيه إكراه لنفسك على أمر لا ترغبين به، ولا تُحِبِّينه، وهذا الكُرْهُ الذي يحصل لديك ليس دليلاً على عدم صحة قرارك؛ لأنَّ الله - تعالى- يقول: ﴿وَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ شَرّٞ لَّكُمۡۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ﴾[1] ، وإن أردتِ أن تُغامري وتركبي الأخطار وتنتظرين فتى أحلامك، بشروطك أيام كنت قبل العشرين، وتأملي أن تكوني من المقليلات المحظوظات اللائي وفقهن الله برجال تتوافر فيهم بعض شروطهن، فإنِّي أخشى أن تكوني أحد الأرقام الجديدة في عالم العوانس البغيض إلى كل فتاة وأهلها، وهي أرقام ليست باليسيرة، حسبما تُطالعنا به الصحف بين الحين والآخر .

وإليكِ فيما يأتي نبذة عن هذا العالم - حماك الله منه - ولن يكون التطرق فيه إلا فيما يتعلق بالمرأة، وستُهمَّش الأسباب الخارجة عنها، كما سيُركَّز على ما يدعم مراحل

(1) سورة البقرة، من الآية: 216.

التخطيط السابقة ويُبيِّن أهميتها.

عالم العنوسة:

العانس: هي التي يطول مكثها في منزل أهلها بعد إدراكها حتى تخرج من عداد الأبكار ولم تتزوج[1]، ولا تُطلق العنوسة على المطلقة والأرملة، وتختلف وجهات النظر في تحديد العمر الذي تصبح المرأة فيه عانسًا؛ لأنَّ تحديده أمر نسبي يختلف باختلاف الزمان والأعراف والمجتمعات، فالمرأة في مجتمعات سابقة إذا بلغت العشرين ولم تتزوج يمكن أن تُعدَّ عانسًا، ولا تُعدُّ في زماننا، كما أنَّه في الزمان الواحد تختلف من مجتمع لآخر، فالعنوسة مرتبطة بالسن الذي ينصرف فيه عنها الخُطَّاب الأكْفَاءُ الذين ترغبهم، ويتجهون إلى من هي أصغر منها، ويحدد بعض الباحثين بداية سن العنوسة بأنه بلوغ (25) سنة[2]، بينما ذكرت منظمة (الأسكوا) استنادًا إلى إحصاءات أجرتها: أن عنوسة الفتاة تبدأ في سن الثامنة والعشرين ونصف[3].

من أسباب العنوسة الناشئة من الفتاة نفسها :

لن يتحدَّث الباحث عن أسباب العنوسة بشكل مفصل،

---

(1) محمد بن مكرم بن منظور، **لسان العرب**، ط1، (بيروت، دار صادر،1410هـ)، ج6، ص149.

(2) عبد الرب نواب الدين آل نواب، **تأخر سن الزواج**، ط1، (الرياض، دار العاصمة،1415هـ)، ص15.

(3) رجاء مكي: http://www.hfaa.org.lb/afaq14/pages26to27.htm

فإنَّ هذا قد بُحث كثيرًا وتناولته وسائل الإعلام المختلفة، وإنما المراد التنبيه هنا إلى بعض الأسباب التي يُفيد ذكرها في هذه الدراسة، والتي تكون ناشئة بشكل رئيس من الفتاة نفسها؛ لأنَّ الأسلم للفتيات أن يُفتِّشن عن حلول مشكلاتهن بأنفسهنَّ، مع الاستفادة من أهل العلم والدِّين والخبرة.

ومن الأسباب التي تجعل الفتاة عانسا ما يلي:

❶ تأجيل الزواج لأيِّ غرض من الأغراض، كمواصلة الدراسة، أو الحصول على وظيفة، أو رعاية أم كبيرة، أو والد، أو إخوة صغار وأخوات؛ **فالتأجيل بحدِّ ذاته من أخطر الأسباب المؤدية إلى العنوسة.**

❷ المبالغة في صفات شريك العمر، والاستمرار في طلب هذه الصفات على الرغم من تقدم العمر وذبول الزهرة، ورفض التنازل عن بعض الشروط؛ ومن المبالغة: تشدد البنت - استقلالاً أو تبعًا لأهلها – في المطالب المطلوبة من المتقدم، من غير تمييز بين الضروري والتكميلي، وقد أدَّت هذه المطالب إلى هروب بعض الشباب إلى الزواج من الخارج، حيث نساء لا يشترطن شيئًا، ففي الكويت أقبل كثير من الشباب على الزواج من آسيويات، وبالتحديد من جنسيات: فلبينية، وتايلاندية،

ونيبــاليــة، وإندونيسية، وصينية، ومالديفية، وسنغافورية[1]، وإلى نحو هذا الوضع اتجه كثير من الشباب في باقي دول الخليج[2].

وحتى تدرك فتيات العشرينات أنَّ تقدم العمر يؤكد عليهن التخلي عن كثير من الشروط، **أنَّ أكثر الشباب لا يكونون مستطيعين للزواج إلا في سن مرتفع نسبيًّا**، بينما الفتاة تكون مستعدة للزواج منذ البلوغ، وهذا يجعل الشاب عندما يَقْدِر على الزواج لا يقتصر اختياره على البنات من سِنِّه أو أصغر بقليل، بل يكون مجال الاختيار أمامه واسعًا، وهذا يجعل عددًا من الفتيات يسرن في الطريق المؤدِّي إلى العنوسة؛ لأنَّ الشاب في مجتمعاتنا المعاصرة معروف عنه مهما كبر أنَّه - في الغالب - يُفضِّل الفتاة الصغيرة؛ وقد أثبتت إحدى الدراسات[3] أنَّ نسبة عدد النساء الصالحات للزواج مقابل عدد الرجال القادرين على الزواج، هي: أربع نساء مقابل رجل واحد؛ وهذا يُعطي تفسيرًا لارتفاع عدد العوانس مع أنَّ عدد الذكور مقابل الإناث متقارب في دول الخليج؛ ويزداد الأمر سُوءًا إذا عُلم أن نحو خُمس الزواجات في السعودية والدول الخليجية وبعض الدول العربية تنتهي بالطلاق حسب الإحصاءات في السنوات الأخيرة؛ مما يجعل

---

(1) صحيفة الشرق الأوسط، العدد 8192، (1422/2/9هـ)، الصفحة الأخيرة .

(2) http://www.albayan.co.ae/albayan/2000/05/15/mnw/8.htm

(3) بثينة السيد العراقي، **أسرار الزواج السعيد**، ط2، (الرياض، دار طويق، 1421هـ)، ص265 .

الفرصة ضعيفة أمام المطلقات والعوانس[1].

❸ تغليب المرأة عاطفتها على عقلها، فعاطفتها تريد الزوج بالصفات المرغوبة، وعقلها يقول لها: قد مضى بك العمر فبلغت الخامسة والعشرين فلا تطلبي صفات في زوجك غير الدين والخلق، وارضي بمن لديه امرأة، فتأبى إلا أن تَـتْـبع عاطفتها، وتكون على محك الخطر ☠ .

❹ قال رسول اللَّهِ ﷺ: « إنَّ إبْلِيسَ يَضَعُ عَرْشَهُ عَلَى الْمَاءِ، ثُمَّ يَبْعَثُ سَرَايَاهُ، فَأَدْنَاهُمْ مِنْهُ مَنْزِلَةً أَعْظَمُهُمْ فِتْنَةً، يَجِيءُ أَحَدُهُمْ فَيَقُولُ: فَعَلْتُ كَذَا وَكَذَا. فَيَقُولُ: مَا صَنَعْتَ شَيْئًا. قَالَ: ثُمَّ يَجِيءُ أَحَدُهُمْ فَيَقُولُ: مَا تَرَكْتُهُ حَتَّى فَرَّقْتُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ امْرَأَتِهِ. قَالَ: فَيُدْنِيهِ مِنْهُ وَيَقُولُ: نِعْمَ أَنْتَ»[2].

فالشيطان إذا كان لا يَسرُّه بقاء الروابط الزوجية والأسرية، ويبثُّ أتباعه لتفكيكها وهدمها، فإنَّه لا يسرُّه أن تُبنى من أساسها، فيسعى جاهدًا أن يبقى الشباب - ذكورًا وإناثًا - عُزَّابًا عازفين عن الزواج والتفكير فيه، أو يجعلهم يشترطون شروطًا فيمن يرغبون الزواج منه يعرف الشيطان أنَّها قليلة التحقق، لأنَّ بقاءهم بلا زواج يُسَهِّل أمامه

(1) نشرت إحصاءات الطلاق صحيفة الشرق الأوسط، العدد 7610، (1420/6/19هـ)، والعدد 8161، (1422/1/8هـ).
(2) رواه مسلم، ح (2813).

المهمة التي انبرى لها منذ أن أُخرج من الجنة في إغواء ذرِّية أدم ﴿ قَالَ أَرَءَيْتَكَ هَـٰذَا ٱلَّذِى كَرَّمْتَ عَلَىَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلًا ﴾[1] . حتى وإن كان الرجل أو المرأة صالحين في ذاتهما، فإنَّ الشيطان يَعدُّ بقاءهما عزبين نقطة ضعف، يمكن أن يأتي يوم من الأيام، أو لحظة من اللحظات يستغلها وتكون بداية في طريق الغواية والندامة.

❺ عدم ثقة المرأة بالرجال، فهي تخشى من عدم حب الزوج لها، وعدم إخلاصه، وسهولة فك الرباط بينهما، فهي تفضِّل أن تُؤَمِّن مستقبلها أولاً من خلال التعليم والحصول على وظيفة ثم تفكِّر بالزواج[2]، ويغيب عن أذهانهن أن فشل الزواج في مجتمعنا ليس هو الغالب، بل الغالب والحمد لله هو نجاحه، وإنّما تُتَلافى أسباب الفشل في الزواج بتوفيق الله - عز وجل- ثمَّ بحسن الصفات المتوافرة في الخاطب، وإذا جاء خاطبٌ ذو صفات حميدة فَرُدَّ فإنَّه قد لا يأتي مثله.

أحوال العانس:

قصص العوانس كثيرة جدًا، وأُلِّفت فيها عدد من الكتب، وأكتفي هنا بذكر قصتين فقط، وبعدهما أذكر كيف أنَّ بعض

(1) سورة الإسراء، الآية: 62.
(2) صرَّح بهذا عدد من الفتيات كما في صحيفة الرياض، العدد 11647، (10/صفر/ 1421هـ)، ص14 .

العوانس استطعن أن يتكيفن مع حالهن:

ذ – أم نور :

تقول : "ما إن وضعت رأسي على الوسادة؛ حتى تداعى ذاك الشريط الذي يتكرر كل ليلة: يدي في يد عريسي، ليلة الزفاف، وأنا في ثوبي الأبيض الجميل، يغمر قلبي الفرح، ويفيض السرور من عيني.

لم أصحُ من حلمي هذا إلا على طرقات باب الحجرة. إنه ابن أخي. أخي صار عنده ولدان. أخي الذي يصغرني بسنوات تزوج وأنجب وأنا ما زلت ... آه كم كنت غبية حمقاء.

ما زلت أذكر فرحة أمي وهي تخبرني أن شابًا متدينًا تقدم إلى خطبتي. كنت في المرحلة الثانوية. لم يفرحني يومها الخبر فرددت عليها بقولي : "أنا لا أفكر في هذا الموضوع يا أمي .. أريد أن أكمل تعليمي" وانصرفت عنها بغرور وعجب بنفسي.

بعد أن أنهيت مرحلتي الثانوية قال لي أبي: "يكفيك هذا . لقد خطبك عمك اليوم لابنه أحمد. آن لك أن تتزوجي".

بكيت وبكيت، ورفضت الزواج، وأصررت على مواصلة الدراسة ،ونجحت في إصراري، ودخلت الجامعة، وحين صرت في السنة الثالثة، تقدم لخطبتي ابن جيراننا عبد الرحمن، هذا المهندس الناجح في عمله. ما زلت أذكر كيف سمعت أمه وهي تخطبني إليه من أمي .. وكيف اقتحمت عليهما جلستهما وأنا أصرخ: لن أتزوج قبل أن أتخرج في

الجامعة.

تخرجت في الجامعة، ولم يعد يخطبني أحد. أدركت أنني كنت على خطأ. بل لعل أبي كان على خطأ حين خضع لإصراري على مواصلة دراستي. لا ..بل لعلها أمي التي لم تشرح لي .. لا أدري .. لا أدري .. كل ما أعرفه الآن .. أنني أصبحت عانسًا[1].

وتقول عانس أخرى: "ليت والديَّ أجبراني على الزواج ... لقد ضرَّني والدي كثيرًا حين ترك لنا الحرية في تأجيل الزواج لمواصلة تعليمنا، وكذلك ضرتني والدتي حين لم تحذرني من أنني قد أندم حين أكبر وأبقى دون زواج"[2].

ذ – طبيبة حصلت على درجة (الدكتوراة):

تقول باختصار: تجربتي تكاد تكون غريبة؛ لأني بلغت من العمر الأربعين عاماً، ومن المفترض أن أكون امرأة بمرتبة (جَدَّة) ولكن عقليتي، علـى الرغـم من أني طبيبة وناجحة في عملي - والحمد لله - إلا أنني لم أحسب حساب ما وصلت إليه اليوم من ألم في نفسي أن حُرمت الأمومة، وحُرمت أن أكون زوجة.

لقد كنت موفقه في دراستي، بجميع مراحلها، وكانت رغبتي للعلم جامحة قوية، وبعد أن تخرجت في الجامعة

---

(1) محمد رشيد العويد، **غير متزوجات ولكن سعيدات،** (بيروت ، دار ابن حزم ، 1419هـ) ، ص62- 63 .

(2) المرجع السابق، ص64 .

قررت أن أكمل الماجستير، وكأي فتاة في تلك السن، كان يتقدم لخطبتي الكثير، ولاسيما أني كنت أتمتع بجانب كبير من الجمال، لكني كنت أرفض بسبب التعليم، وكان والداي يَقنعان برأيي، وليتهما رفضا هذه القناعات .

وانتهيت من الدكتوراة وحصلت على الدرجة بتفوق كبير، وعدت إلى المملكة حاملة هذه الشهادة العالية، وعملت في مستشفى خاص بجدة، وهيأت نفسي أن أكون زوجة، لكن ما حدث غير ذلك، فلم أسمع أحداً جاء يطرق بابنا يطلب الزواج مِنِّي، قلت في نفسي لربما أن سفري الطويل أنسى الناس أن في بيت فلان فتاة للزواج، فصرت أحضر المناسبات التي أدعى إليها، ولكن لا حياة لمن تنادي، وإذا تقدم أحد للزواج مني إما أن يكون أكبر مني بسنوات كثيرة جداً، في سن والدي وربما أكبر، وربما أكون أصغر من أولاده .

وظلت الحيرة تطاردني، وعزوف الرجال عن الزواج مني صار يكبر مع تقدمي في السن، والقلق يمزقني في داخلي من هذه الحالة التي أعيشها، والألم يعتصرني، وأنا أرى أمهات صغاراً أقوم على رعايتهن، حيث إن تخصصي (نساء وولادة)، ويزداد بي الحنين واللوعة، حين أرى الأطفال، كم أتمنى أن يكون أي طفل يقول لي كلمة (ماما) .

وأنا اليوم قد تجاوزت الأربعين من عمري، إنني اليوم مجرد امرأة فاقدة أي إحساس بالسعادة على الرغم من

تفوقي ونجاحي العملي، لأني فقط، لست أماً ! [1].

تكيف العانس مع حالها :

وتَجلُّدِي للشَّامتيـن أُريهـمُ
أنِّي لِرَيْـبِ الدَّهـرِ لا أتضَعْضَعُ

مِن النساء العوانس من حاولن أن يتغلبن على الآثار التي تُسبِّبها العنوسة فنجحن إلى حد ما في المقاومة[2]، وتحقق لدى بعضهن ثمرات طيبة، من خلال الانشغال بالعبادة وتقوية صلتها بالله - تعالى- وقراءة القرآن، وذكر الله كثيرًا، واللجوء إلى الدعاء والتضرع لله – سبحانه - [3] ومن خلال الانشغال ببعض الأنشطة المجماعية الإسلامية والثقافية المتنوعة في دور تحفيظ القرآن الكريم، والانشغال في بعض مجالات الدعوة إلى الله - تعالى - وممارسة بعض الهوايات الترفيهية، فالعنوسة لا تعني الموت المعنوي للمرأة! لكنَّ هذا لم يقطع الهواجس

(1) خالد الجريسي، **كيف تزوج عانسًا**، (الرياض، المؤلف،1421هـ)، ص 329 - 331.

(2) استنادًا إلى دراسة أشارت إليها مجلة العربي، الكويت، العدد 106، (26/ جمادى الأولى/1387هـ)، ص26.

(3) العويد، **غير متزوجات ولكن سعيدات**، مرجع سابق، ص 19- 20، 69، نقلا عن: رسائل عوانس .

والخــواطر اللاتي يطرقـن الذهن من حين لآخر يُشعرن بأنَّ الأمر ليــس طبعيًّا، ولا بد من التفكير في تغييره، فالمرأة لا تستغني تمامـًا عن الرجل؛ فهي فَرعٌ عنه، خُلقت منه، والفرع يحنُّ إلى أصله .

بعض آثار العنوسة:

تترك مشكلة العنوسة آثارًا متعددة في نواحي الحياة على اختلافها وتعددها، ولا تقتصر الآثار على الفتاة وحدها، بل تُصيبها، وتصيب أسرتها، وتُصيب المجتمع بأسْره[1].

أولاً: بعض الآثار الدينية:

تفقد العانس أداء أنواع جليلة من العبادات، لا تحصل إلا بالنِّكاح، وفيما يأتي أهمها:

① النكاح من سنة المصطفى ﷺ ، فقد ثبت عنه أنَّه قال : «...وَأَتَـزَوَّجُ النِّسَاءَ فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي»[2]، وردَّ ﷺ على (عثمــان بــن مظعــون) التبتل[3]: وهو ترك النكاح .

وقال ابن الجوزي:" النكاح مع خوف العنت[4] واجب ومن غير خوف العنت سنة مؤكدة عند جمهور الفقهاء. ومذهب أبي حنيفة وأحمد بن حنبل أنه حينئذ أفضل من

(1) رفعت محمد طاحون، "العنوسة ظاهرة اجتماعية خطيرة في عالمنا الإسلامي"، مجلة المنار، العدد10، (شوال 1414هـ)، ص111 .
(2) رواه البخاري، ح (5063)؛ ومسلم، ح (1401) .
(3) رواه البخاري، ح (5074)؛ ومسلم، ح (1402) .
(4) العنت: الإثم والوقوع في المحرم .

جميع النوافل لأنه سبب في وجود الولد"[1]، وقال أيضًا: "فمن أعرض عن طلب الأولاد والتزوج فقد خالف المسنون والأفضل وحُرم أجرًا جسيمًا ومن فعل ذلك فإنما يطلب الراحة"[2].

② وفي النكاح تحقيق مباهاة النبي ﷺ بكثرة أمته يوم القيامة.

③ وهو مظنة الولد الصالح الذي يدعو لأبويه بعد موتهما، قال رسول الله ﷺ: «إنَّ الله لَيَرْفع العبدَ الدرجة، فيقول: ربِّ أنَّى لي هذه الدرجة ؟ فيقول: بدعاء ولدك لك»[3]، وورد عن عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – أنَّه قال: "والله إنِّي لأكْره نفسي على الجماع رجاء أن يُخرج الله مِنِّي نسمة تسبح الله"[4]. وقال ابن الجوزي: "ورُبَّ جِماعٍ حدث منه ولد مثل الشافعي وأحمد بن حنبل فكان خيرًا من عبادة ألف سنة"[5].

④ وطاعة الزوج من أفضل العبادات في حق

(1) أبو الفرج عبد الرحمن بن الجوزي، **تلبيس إبليس**، تحقيق السيد الجميلي، (بيروت، دار الكتاب العربي، 1405هـ)، ص357 .

(2) المرجع نفسه، ص362 .

(3) أحمد بن الحسين بن علي البيهقي، **السنن الكبرى**، تحقيق محمد عبد القادر عطا، (بيروت، دار الكتب العلمية،1414هـ)، ج7، ص126، ح(13459).

(4) المرجع نفسه، ح (13460).

(5) مرجع سابق، ص362 .

المرأة: قال ﷺ: ((إِذَا صَلَّتْ الْمَرْأَةُ خَمْسَهَا وَصَامَتْ شَهْرَهَا وَحَفِظَتْ فَرْجَهَا وَأَطَاعَتْ زَوْجَهَا قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الْجَنَّةَ مِنْ أَيِّ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ شِئْتِ))[1].

⑤ وللزوجين في الجماع أجر، قال رسول الله ﷺ: ((وَفِي بُضْعِ أَحَدِكُمْ صَدَقَةٌ)). قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَيَأتِي أَحَدُنَا شَهْوَتَهُ وَيَكُونُ لَهُ فِيهَا أَجْرٌ ؟ قَالَ: ((أَرَأَيْتُمْ لَوْ وَضَعَهَا فِي حَرَامٍ أَكَانَ عَلَيْهِ فِيهَا وِزْرٌ ؟ فَكَذَلِكَ إِذَا وَضَعَهَا فِي الْحَلَالِ كَانَ لَهُ أَجْرًا))[2]، والبُضع: **"**يُطلق على الجِماع ويُطلق على الفَرْج نفسه، وكلاهما تصح إرادته هنا**"**[3].

⑥ وما يحصل من الأجر المترتب على تربية الأولاد والعناية بهم، وبخاصة البنات، والنفقة عليهم إذا كانت المرأة تنفق من مالها.

⑦ والأجر العظيم المترتب على الصبر على موت الأولاد.

⑧ بالزواج يسلم المرء في الغالب من مزالق الشيطان، وسُبُل الغواية بالوقوع في الزنى أو مقدماته.

كل هذه عبادات جليلة، يترتب عليها أجور وحسنات كثيرة، تخسرها المرأة إذا لم تتزوج .

---

(1) رواه أحمد، ح (1664)؛ وقال الألباني:**"**حسن أو صحيح**"**، **آداب الزفاف**،(بيروت، المكتب الإسلامي، 1409هـ)، ص214 .

(2) رواه مسلم، ح (1006).

(3) يحيى بن شرف النووي، **شرح صحيح مسلم**، ط1، (بيروت، المكتبة العصرية، 1422هـ)، ج 7، ص76.

وإن اتضح للمرأة أنها لا تنجب، فإنه يتحصل لها بالزواج بعض العبادات السابقة، ويتحصل لها أيضًا أجر الصبر على هذا الابتلاء، وقد يكون لدى المرأة نية صادقة فيما يتعلق بالأولاد : بحسن تربيتهم، والصبر على موتهم؛ فتنال أجر هذه النية، فالنية أحيانًا تبلغ ما لا يبلغه العمل.

ثانياً: بعض الآثار النفسية:

إنَّ حبّ السكن والاستقرار، وتكوين أسرة، وإنجاب أطفال، وقضاء الشهوة، أمور فطرية غريزية لدى الرجل والمرأة، ويكون تحقيقها بالزواج، وعندما يُحرمان منه يعود عليهما ببعض المضار، ويحدث لديهما خللاً، وتضطرب أمورهما ؛ لأنَّ الحرمان هنا يتناول أشياء غريزيَّة جُبلت النفس عليها، ولو حاول الرجل أو المرأة إشباع شيء من تلك الغرائز بغير الزواج، لم تحصل الأمور كما ينبغي، ولحدثت مشكلات ومصائب، وتلك الغرائز مثلها مثل العطش، فإنه غريزة لدى الإنسان، وإنما تشبع بالماء، ولو مُنع الماء عن العطشان لاضطرب حاله، ولو حاول إشباع غريزة العطش بزيت أو بنزين لألحق بنفسه ضررًا ولم يُشبع غريزته، ومن الشواهد الواقعية على أن الزواج أمر غريزي: أنَّ ثلاث أخوات (هندوسيات) أقدمن على الانتحار بتناول مبيد للحشرات؛ لعدم قدرتهن على احتمال فكرة البقاء دون أزواج، وعمر الكبرى (30) سنة، والوسطى (25) سنة، والصغرى (20) سنة، وقد قال والدهن للشرطة: إنه لم يتمكن من العثور على زوج لابنته الكبرى، ورفض

السماح لابنتيه الأخريين بالزواج طالما لم تتزوج الكبرى[1]. وإن كانت المسلمة لا تنتحر مهما كان بؤس حالها وشقائها؛ لأنَّها تعلم أن حياتها في البؤس والصبر عليه خير لها ألف مرة من قذف نفسها بيدها في نار جهنم، لكنَّ هذه القصة سيقت هنا لتؤكد المعاني السابقة .

فمن خصائص الزواج المبكِّر أنه يُساعد على الاستقرار النفسي، والاتزان العاطفي، والإعفاف في الإطار المشروع، وهذه الأمور من أهم مقاصد النكاح وبخاصة في ظل عصر استشْرت فيه صور الإغراء والإغواء، وتعددت وسائلها ودواعيها، وكَثُرَت معوقات الزواج المبكر[2]، قال تعالى: ﴿ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾[3].

وتترك مشكلة العنوسة "آثارًا نفسيةً في نفوس الفتيات، اللاتي ينظـرن إلى أترابهن من الفتيات وقد تزوجت كل واحدة منهن ؛ فيعود ذلك على الفتاة العانس بآلام نفسية مبرحة"[4] ، وقد أكّدت إحدى الدراسات الغربية أنَّ

(1) العويد، **غير متزوجات ولكن سعيدات**، مرجع سابق، ص 33- 34، نقلاً عن وكالة الأنباء الفرنسية في 1417/1/15هـ.
(2) آل نواب، مرجع سابق، ص17.
(3) سورة الروم، الآية: 21.
(4) طاحون، مرجع سابق، ص111 .

المتزوجين أفضل في الصحة النفسية والجسمية، وأنَّ غير المتزوجين أعلى في الشعور بالوحدة والاكتئاب والقلق[1].

ثالثًا: بعض الآثار الصحية:

"يترتب على هذه الآثار النفسية آثار صحية سيئة، فتكاد الفتاة العانس أن تذهب نضارتها ... وقد يتطور الأمر أكثر من ذلك، فتصاب الفتاة بآلام عضوية، نتيجة الحزن والاكتئاب"[2]، وقد كَثُرت التقارير الطِبِّية التي تؤكد فوائد الزواج والإنجاب المبكر على صحة المرأة، وانعكاس رضاعة الأم لولدها من صدرها على صحة ثدييها وسلامتهما من الأمراض الخطيرة، كما أثبتت دراسات[3] أُجريت في جامعة (أوهايو) في الولايات المتحدة الأمريكية: أنَّ المتزوجات اللاتي يعشن حياة مستقرَّة، يتمتعن بجهاز مناعة قوي، أفضل من جهاز المناعة لدى المطلقات وغير المتزوجات .

وقد نشرت صحيفة الأهرام المصرية قديمًا إحصاءً جاء فيه: أنَّ الأموات من سن (50-60) هم: (25 %) متزوجون ، و(75 %) عُزَّاب[4]، بل وأكدت دراسات

(1) آل نواب، مرجع سابق، ص244.
(2) طاحون، مرجع سابق، ص111- 112 .
(3) محمد رشيد العويد، **قالت لي جدتي**، (الكويت، دار حواء، 1414هـ)، ص56 .
(4) منصور الرفاعي عبيد، **العنوسة: رؤية إسلامية اجتماعية لحل مشكلة**

حديثة أجريت على بلدان أوروبا ازدياد معدل الوفيات بين غير المتزوجين، مع ارتفاع واضح في السنوات العشر الأخيرة أكثر من ذي قبل[1]، وذلك يؤكد تمامًا الخطر الصحي الذي تحدثه العنوسة للنساء والرجال على السواء.

إضافة إلى خطر التعرض للأمراض الجنسية عند الوقوع في الحرام.

رابعًا: بعض الآثار الاجتماعية:

لما كان الله -تعالى- غير محتاج إلى مساعدة أحد أبد الدهر لم يكن- سبحانه - بحاجة إلى ولد، وإنما يحتاج الإنسانُ الولد؛ لأنَّه عُرضة في أحوال كثيرة للاحتياج إلى غيره، والمرأة أشد حاجة من الرجل، وبخاصة عندما تكبر وتغزوها الأمراض، وعندما تكبر العانس وتمسها هذه الحاجة تتمنى حينها أن لو تزوجت برجل فيه كل عيب، وليس فيه من شروطها التي تريد أي شرط سوى الدِّين، من أجل أن تُرزق بولد يملأ عليها الدنيا بهجة، ويُعينها، ويسعى في حاجتها، ويدعو لها بعد موتها فيستمر لها عمل صالح وهي في قبرها؛ ولكنَّها أماني ولات ساعة مندم !

وتفقد العانس السكن والراحة، ولا تشعر بالأمان في ظل غياب الزوج والأولاد عن حياتها . وإن كانت المرأة تنعم بالراحة والطمأنينة في بيت والديها، مكفولة معزَّزة، وهي

الفتاة العانس، ط1، (القاهرة، دار الفكر العربي، 1420هـ)، ص 23 ، نقلاً عن الصحيفة في عددها الصادر في (20 ذي القعدة 1352هـ) .

(1) http://www.bab.com.sa/articles/full_article.cfm?id=7314

بهذا لا تخشى العنوسة؛ فإنَّها قد تنسى أنَّه عما قريب ستنزل بأحبابها سُنَّة الله في خلقه فيذهبون ويتركونها حزينة وحدها؛ عند ذلك تقع في مِنَنِ بعض أقاربها من إخوة أو أعمام ونحوهم، وربما قصَّروا في حقها وأهملوها، وربما لقيت مضايقات من النساء في هذه البيوت، وكانت عندهم كالخادم أو المربِّية، ولاشك أنَّ لها في هذا أجرًا عند الله تعالى، لكنْ إذا كانت في بيت زوج؛ فإنَّه في الغالب يكرمها ويقوم بحقوقها بلا مِنَّة، ولها في طاعته أجور لا تحصى، أو يكون لديها أولاد تأنس وتسعد بهم، ويتسابقون في برها وخدمتها .

وقصصهن في هذا المجال كثيرة، منها: ما تحكيه (فاطمة) ذات السبعة والثلاثين عامًا حيث تقول: اعتقد بعد هذا العمر أنَّه لن يكون هناك قطار يمر بمحطتي إلا إن كانت (عربة) معيبة أكل عليها الزمان وشرب؛ ولعلها ضريبة أدفعها الآن رغمًا عن أنفي، فقد كنت أرفض الزواج حينما كنت صغيرة بسبب دراستي وأسباب أخرى واهية؛ ظنًّا مني أن الحياة تدوم لي في ذلك الرخاء والسعادة، حينما كنت بين والدي ووالدتي، والآن بعد أن خطفتهما يد المنون، وعانيت مرارة الاحتياج، وتذمر إخوتي مني، ومعاملة زوجاتهم السيئة، ندمت كل الندم على ما فات من عمري دون أن أُكَوِّن أسرة أتظلل بها حينما يفجعني الزمن ويكشر عن أنيابه، والآن كل من يتقدم لي إما مريض وينتظر الموت، أو شخص مُسنّ يبحث عمن

يخدمه[1] .

خامساً: بعض الآثار الخُلقية:

"وأشد ما يخاف على المرأة منه من آثار خُلقية مدمرة، فقد تنحرف الفتاة عن طريق الجادة في ساعة ضعف إرادتها"[2]، "وعندمـا تضيق طرق الحلال تتسع طرق الحرام .. الغريزة الجنسية أودعها الله في مخلوقاته وجعلها من أقوى الغرائز بعد غريـزة الجـوع .. وهـذب الإسـلام هذه الغريزة عن طريق الزواج المشروع"[3]، فبه تُطْفَأ نارها، ويَكف النظر عن التطلع إلى الحرام، لكـنْ "عندما يُضيِّق المجتمع ... الخناق على ما أباحـه الله له فإنه في الوقت نفسه يفتتح باب ما حرم الله عليـه"[4]، ولأنْ تتـزوج المـرأة برجل ليس فيه شرط من شروطهـا - غير أنَّه مسلم - خير لها من التعرض للحرام وسخط الجبار، والسقوط في مهاوي الرذيلة، وإفساد قلبها ودينهـا، والتعـرض لآفـات الأمـراض الفتـاكة والأخطـار المدمرة.

برقيات سريعة إلى بعض النساء:

وقفة مع من لا تفكر بالزواج الآن:

(1) صحيفة الجزيرة، العدد 10876، (1423/4/28هـ)، ص33 .
(2) طاحون، مرجع سابق، ص112 .
(3) محمد بن علي الهرفي، **رقصة الموت: دراسة وتحليل لبعض قضايا المرأة في المجتمع السعودي** ، (الدمام، دار الإصلاح، د.ت) ص76 .
(4) المرجع نفسه، ص107 .

أكثر ما تتحجج به المرأة لتأخير الزواج مواصلة التعليم ! فهل كان الزواج عائقًا أمام مواصلته ؟

تقول الدكتورة فريدة عبد الوهاب المشرف، عميدة شؤون الطالبات في جامعة الملك فيصل: "من العجيب أن تنقلب الأولويات في تفكير الفتاة المسلمة، فالزواج نصف الدين ، وليست الدراسات... وهي هدف طيب يمكن للفتاة تحقيقه بعد أن تحقق الهدف [الأهم، وهو الزواج] ... ومع وجود الإرادة والاستقرار النفسي والاجتماعي في الأسرة تستطيع الفتاة أن تستكمل دراساتها العليا. وكثيرات من الزميلات أكملن الدراسة الجامعية والعليا وهن متزوجات وأمهات، بل إنني وجدت الطالبة المتزوجة أكثر التزامًا وحرصًا واجتهادًا من غير المتزوجة"[1].

أيتها الأخت الكريمة: إنَّ تأخيرك الزواج هو استسلام للزمن، ولقد قتل الزمان صويحباتك وهن أحياء، وحرمهن من أحلى متع الحياة.

ولقد أكَّد الباحثون أنَّ "زواج المرأة في سن ما قبل العشرين وكثرة الرضاعة الطبيعية وكثرة الإنجاب تقيها من بعض الأمراض خصوصًا أمراض الدم والسرطان"[2]، وانتهت دراسة إحدى الباحثات في مصر إلى : أنَّ الزواج

(1) مجلة حياة، العدد19، (ذو القعدة 1422هـ)، ص24 . وتورد لنا الصحف وبعض الكتب بين الحين والآخر قصصًا مؤثرة مما جناه رفض الزواج بسبب التعلم ، وتصريحات لهنَّ بالندم بعد فوات الأوان .

(2) العراقي، **أسرار الزواج السعيد**، مرجع سابق، ص115 .

المبكر يجعل الزوجين أكثر ارتباطًا ببعضهما، وأقرب إلى مسايرة كل طرف للطرف الآخر، بخلاف الزواج بعد الثلاثين فإنَّ كل واحد يتمسك برأيه أكثر[1].

وإنَّ ترْك الزواج أو تأخيره من غير ضرورة ليس من أمر الإسلام، قال الإمام أحمد - رحمه الله - : "ليست العُزْبَة من أمر الإسلام في شيء"[2]. وقال شداد بن أوس- رضي الله عنه ، وقد ذهب بصره - : "زوِّجوني، فإن رسول الله ﷺ أوصاني أن لا ألقى الله عزبًا"[3]. ولِتعلمي أنَّه يحق لكِ أن تُضمِّني عقد الزواج شرطًا مكتوبًا بمواصلة دراستك، كما أن مواصلة التعليم ليس لها حد، فبإمكانك المواصلة منتسبة، وبإمكانك أن تجعلي تعليمك حرًّا من خلال وسائل التعلم المتنوعة كالكتاب والشريط ونحوهما، وليست الشهادة شرطًا في التعلم.

وقفة مع المرأة العاملة:

حِرْصُ المرأة على حصولها على عمل، من أسباب عدم تفكيرها بالزواج أساسًا في أوائل شبابها، وعزوفها عن الزواج بمن لا تتوافر فيه شروطها كاملة في أوائل عنوستها؛ فهي لا تشعر بحاجة إلى الرجل لسدِّ حاجة

(1) العراقي، **أسرار في حياة العانسات**، مرجع سابق، ص 114.
(2) ابن قدامة، **المغني**، مرجع سابق، ج 9، ص341 .
(3) عبد الله بن محمد بن أبي شيبة، **المصنف**، تحقيق عامر الأعظمي، (بومباي، الدار السلفية، د.ت)، ج4، ص127.

مالية؛ لذلك يكثـــر بقاؤهـــنَّ بلا أزواج، وهو أمر لو فكرت فيه على المدى البعيد لأدركت على الفور أنها مخطئة في تصوراتها، من ذلك : أن الرغبـــة في الـــزواج وتكوين أسرة أمر فِطري غريـــزي لـــدى المـــرأة، أمـــا العمـل والدراسة فليسا من الفطـــرة، وإذا تحققا لها،ولم يتيسر لها الزواج أثَّر ذلك على نفسيتها وصحتهـــا؛لأنَّـــه نَقَـصَ منها شيء مفطورة عليـــه في أصـــل خلقتها، أما إذا لم يتحقق لها العمل ولا الدراسة فلا يُؤثِّر هذا عليها إذا كانت في كنف من تجب عليه نفقتها.

وقفة مع من ترعى غيرها:

على الفتاة أن لا ترفض من يتقدم لخطبتها بحجة أنَّها ترعى والدين كبيرين أو أحدهما، أو مسؤولة عن إخوة وأخوات صغيرات أو أبناء وبنات، وإنما صارحي المتقدمين بحالك، وأخبريهم أنك تحرصين على تحمل مسؤولياتك تجاه أهلك أو أولادك، وأنك تسعدين لو رضي المتقدم إليك بذلك، وشاركك فيه، وأنك مستعدة للزواج منه إذا قبل بحالك[1]، وارضي أنتِ بالحلول الوسط التي قد يمليها الخاطب .

وقفة مع المغلوبة على أمرها:

من النساء من ليس لها مشكلة في قبول المتقدم، لكنَّ وليَّها وقف حجر عثرة في طريق سعادتها. فكم من الخُطَّاب الأكفاء جعلهم يولون الأدبار، من غير سبب عائد على مصلحة المرأة، فلم يتق الله فيها، ولم يخش وقوفه بين

(1) العويد، **غير متزوجات ولكن سعيدات**، مرجع سابق، ص25 .

يدي ربِّه يسأله عما استرعاه إيَّاه، فتعنتَ في ظلمها ومنعها حقها، وهي مغلوبة على أمرها، محتارة لا تدري ما تفعل !

إلى من هذه حالها أوصيك بما يلي:

1 - تجلَّدي بالصبر، فإنَّه محمود العاقبة، طَيِّب الثمرة .

2 - أصلحي ما بينك وبين ربك .

3 - أكثري من اللجوء إلى الله تعالى، وداومي على دعائه ولا تيأسي، وتحرَي ساعات الإجابة .

4 -استعيني بمن يمكن أن يتفهم مشكلتك ويؤثِّر على وليك من الأقرباء، كإخوتك وأعمامك وأجدادك، وركِّزي بشكل أكبر على والدتك، وألِحِّي عليها في ذلك، واطلبي منها أن تُعيد الكَرَّة، مرة بعد مرة .

5 - أو تحدثي أنت معه وصارحيه في الأمر؛ أو حرِّري رسالة، اسكبي فيها دمعتك، واجعليها تنطق بآهاتك، وابعثي بها إليه، وبعد مُدَّة ابعثي له أخرى، وأشعريه أن موقفك قوي، وأن الحقَّ معك .

6 - ابعثي له بشريط سمعي يتكلم عن مشكلتك(1) .

7 - إذا كان رفضه تزويجك بسبب طمعه في مرتبك، ولم تنفع معه الوسائل السابقة، فلك أن تصطلحي معه على جزء معين من الراتب يأخذه باستمرار، حتى بعد زواجك .

(1) مثل: خطبة فضيلة الشيخ صالح بن عبد الله بن حميد عن العضل، التي ألقاها يوم الجمعة 1423/6/28هـ، ويمكن الحصول عليها من مكتبة الحرم المكي، وشريط "صرخة فتاة"، للشيخ محمد الدوسري.

وقفة مع قضية التعدد:

حُبُّ التفرد بالزوج من الأمور الطبعية لدى المرأة، وهو أمر لا تُلام عليه، لكن يجري الكلام عن التعدد هنا باعتباره أحد خيارين لا ثالث لهما: إما التعدد، أو البقاء بلا زوج مع تقدم العمر وما ينجم عن هذا من أضرار .

فلماذا ترفض بعض النساء خيار التعدد مع تجاوزها سن الخامسة والعشرين واتجاهها نحو خطر العنوسة ؟

لعل السبب الرئيس لهذا الرفض هو تصور المرأة فشل هذا الزواج، وأنها ستظل تقاسي العذاب عند ارتباطها برجل متزوج. وإن كان هذا التصور لدى بعض النساء فقد كان لدى إحدى الكاتبات في المجالات الاجتماعية[1]، ودفعها إلى إجراء استبانة على مجموعة من النساء السعوديات في مدينة جدة، من اللاتي تزوجن برجال لديهم زوجات، وكانت أعمار المجموعة من (25 إلى 40) عامًا، منهن الموظفات وربَّات البيوت، ومنهنَّ الجامعيات ومنهنَّ دون ذلك، والكاتبة تريد أن تحصل على إجابة: (لماذا تَقْبَل المرأة العذاب بزواجها من رجل متزوج)؟

لكنَّها فوجئت بأنَّ جميع النساء في المجموعة كان رأيهنَّ في التعدد إيجابيًّا، ووصفن الزواج من رجل متزوج بأنَّه نعمة، وأنَّ القرار بالاقتران بذلك الزوج كان صائبًا، سوى امرأة واحدة فقط قالت: إنَّ التعدد دون التزام بقواعد الإسلام

(1) هي: ناهد باشطح: http://www.amanjordan.org/studies/sid=8.htm و نُشر مقالها في مجلة المجلة، العدد (1071)، ص 20- 26.

نقمة، وإنَّ زواجها يُعدُّ فاشلاً لأسباب ثلاثة، هي: عدم وجود العدل، وعدم تحمل الزوج لمسؤوليات الأسرتين، والأعباء المالية .

إنَّ نتائج هذه الاستبانة تؤكد أنَّ تصورات كثير من النساء عن التعدد بأنَّه سيئ تصورات ليست صحيحة، ألا وإنَّ إخفاق بعض الرجال في تحقيق العدل الواجب عليهم بين زوجاتهم لا يعني تعميم هذا على بقية الرجال، ولا يجعل منه إلغاءً لشريعة التعدد من قائمة التطبيق لدينا.

ومن أسباب رفض المرأة للتعدد ظنُّها أنَّ ارتباطها برجل متزوج نوع من الظلم تسوقه إلى زوجته، وهذا ظن خاطئ، إذ لو كان فيه ظلم لَمَا شرعه أعدل العادلين، ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظۡلِمُ مِثۡقَالَ ذَرَّةٍۖ ﴾[1]، وفي الحديث القدسي يقول الله عز وجل : «يَا عِبَادِي إِنِّي حَرَّمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِي»[2]؛ فمِن حِكم مشروعية التعدد: أن تواسي المرأة المتزوجة أختها المسلمة، وترفع وتخفف من معاناتها، وهذا هو العدل الإلهي، لا أن تَحصل المرأة الواحدة على مقومات السعادة في الدنيا وتَحرِم - لمجرد حب التفرد بالزوج - نساءً كثيرات منها بسبب عزوف الخطاب عنهن لكِبَر وغيره، والله تعالى يقول

(1) سورة النساء، الآية: 40.
(2) جزء من حديث رواه أحمد، ح (20911)؛ ومسلم، ح (2577) .

في مدح الأنصار: ﴿ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُواْ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾[1]، ويقول رسوله الكريم ﷺ: «لا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ»[2]، فهل تحب المرأة المتفردة بالزوج لأختها ما تحبه لنفسها من حصول الاستقرار والرعاية الزوجية وإنجاب الأولاد؟

وإن كانت الغيرة تغلبك، فتُثَبِّطك بعد عزم، وتَرُدُّك بعد إقدام، فإنَّ الغيرة من الخصال التي لا تؤاخذ عليها المرأة ما دام لم يحصل بسببها تَعدٍّ على أحد ، لكن ينبغي على المرأة العاقلة أن لا تدع الغيرة تؤثّر على مستقبلها؛ فترفض المتزوج، بل لتعالج غيرتها بالدعاء، فإنّه أنجع علاج، فقد عالج به النبي ﷺ أم سلمة - رضي الله عنها - لما خطبها فاعتذرت بأنّها تغار من نسائه؛ فأذهب الله ما كانت تجد[3]. ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾[4].

وقفة خاصة مع المطلقة والأرملة:

---

(1) سورة الحشر، من الآية: 9.
(2) رواه البخاري، ح (13)؛ ومسلم، ح (45).
(3) رواه أحمد، ح (26129)؛ ومسلم، ح (918).
(4) سورة غافر، بعض الآية: 60.

كثير من الفتيات عندما يُطلَّقن لا يَقبلن المتقدمين لهنَّ فور انتهاء العدة، بل يرغبن في البقاء بضع سنين؛ يُراجعن فيها بعض الأمور ويُفتشن عن بعض الأخطاء والأسباب التي أبطلت الزواج السابق، ويخشين من طلاق مرة أخرى فيهربن إلى سجن السنين ما شاء الله أن يهربن؛ يطلبن تسلية مصيبتهن، بل إنَّ مِن المطلقات والأرامل مَن يكون لديها ولد أو أكثر، ويكون لديها مصدر رزق، فَتُعرِض عن التفكير في الزواج كليًّا، ويغيب عنها أنَّها قد تفقدهم بعد تجاوز سنِّ الإنجاب، أو بعد أن زهد فيها الـخُطَّاب، فتكون مصيبتها فيهم عظيمة، وليس لديها من تسلي مصيبتها ببقائه بعد الله عزَّ وجلَّ.

والنصيحة التي تُقدَّم هنا: أن الزواج الذي ينتهي بالطلاق لا يُعدُّ فشلاً في حق المرأة؛ بل هو تجربة ودرس، والحياة تجارب ودروس، وإنَّ هذه الدراسة تؤكِّد أنَّ الزمن عامل حاسم في مستقبل المرأة، كلما مضت سنة قلَّت معها فرص المرأة في مستقبل مشرق؛ إذنْ ما دمتِ في سن يسمح لك بالزواج فلا تترددي - فور انتهاء عدتك - بقبول خاطب ليس به عيب شرعي، ولا يَردُّك عن ذلك أو يُعيقك أمر، وهذه النصيحة تقدم للأرملة أيضًا.

وفات القطار !

أيتهـا الفتـاة: الرسالة التالية أُعِدَّت لا لِتوجَّه إليكِ قبل موعـدها بخمـس عشـرة سنـة أو عشر أو خمس، لأنِّي

أرجو عندما يحين وقتها أن تُلقى في سلة مهملات الأوراق 🗑 ولن تكوني بحاجة إليها؛ لأنَّ حُسن تفكيرك ونفاذ بصيرتك - بعد توفيق الله - قد جعلك في مصاف المتزوجات، داخل بيوت سعيدات، وبين أبناء مبهجين وبنات، ولم تهمّك نظرات الناس وقناعتهم وأقاويلهم فيما اخترت من أمر أباحه الله لك ورأيتِ فيه مصلحتك، فتخليت عن كثير من الشروط والمطالب، أو قدّمتِ التنازلات.

فاقرئي - من باب الحذر والاعتبار - الرسالة التالية[1]، التي لن ترسل إليك إن شاء الله :

⊠⊠⊠⊠⊠⊠⊠⊠⊠⊠⊠⊠⊠⊠⊠

بسم الله الرحمن الرحيم

إلى أختي التي دخلت عالم العنوسة :

سلام عليكِ ورحمة الله وبركاته، أما بعد:

فأسأل الله - تعالى- أن يكون هو أنيسك ، وكتابه جليسك، والصبر والرضى بما كتب حليفك.

خمسة وثلاثون خريفًا من أوراق عمرك مضت، ولن يقف الزمن، ولن يعود إلى الوراء، ومرت الأيام كسحابة صيف أبت أن تقف أو تستأذن في الرحيل، وها هي تركض

(1) مستفادة - بتعديلات كثيرة- من : مصطفى يوسف المتولي، "إلى ذات الأحلام الوردية"، المجلة العربية، (جمادى الأولى 1416هـ)، ص125 .

مسرعة، ورحل الماضي بكل ما فيه من أحلام وردية، وبسمات عذبة نقية، وخيالات عبقة ندية، آمال، أحلام ، وأشياء أخرى جميلة، واليوم لن يسمح لك بالوقوف على أبوابه، أو حتى الرؤية عبر منافذه، ولن يأذن لك بقطف زهرة من أزاهيره، أو الخوض في نهر ذكرياته وأحلامه.

أختي: أين شبابك ؟ أين وجهك القمري الذي كان يشع دفئًا، وينثر عطرًا في كل الأرجاء؟ أين عيناك النجلاوان تشعان سحرًا وشوقًا؟

شبابك قد اندثر وأصبح بقايا، وها هما عيناك تكاد تحيط بهما هالات سوداء تعلن قدوم الخريف، وشعرك الذي كنت تتباهين به، بدأ يجعلك تلاحقين الصبغات توارين رايات المشيب.

أختي : هل تحققت رسوماتك وخيالاتك في فتى أحلامك؟ عينان سوداوان، وشعر كالليل البهيم ، ولسان يتفوه بحروف ليست في أبجديتنا، يجيد كل اللغات، ويردد الغزل من الأبيات، مسكن في مدينة على شاطئ الوادي، وآخر في المدينة الجديدة، والصيف في المدينة الساحلية، والشتاء في المناطق الدفيئة، سيارات وعقارات، مجوهرات، خدم، استقبالات، وداعات، جياد، أرقام وحسابات، أثاث فاخر، مهر كاسر، أفراح باتساع، وأشياء أخرى لم ولن تتحقق؛ ها أنت الآن تقفين حافية على أرض الواقع الذي لم يرحم شبابك وضاعت أيامك.

أختي: تقدم الكثيرون جدًا لخطبتك، ولكن للأسف لم

يعجبك واحدٌ منهم، بعضهم رُفض؛ لأنَّ ملامحه وقسماته لم تكن (سينمائية)، ومنهم من رُفض؛ لأنَّه لم يمتلك مقومات أحلامك وآمالك . ربما رُفض آخرهم؛ لأنَّه سيعيش بعد زواجه مع أمه المريضة، وعشرات الشباب لم يجرؤ واحد منهم على خطبتك؛ خوفًا من الرسوب في مواد رغباتك وطلباتك، بَعُدوا عنك، هَرَبوا منك ، وفات القطار، وكان آخر قطار !

ها أنت تُتمتمين، تَتأوهين،تتحسرين، تَنظرين وتُفكرين، تُرسلين الدمع على الخدين، تقولين بعد أن انصرف عن بابك كل خطيب:

ربـــما يـأتي إذا صـلَّيت فـي جـنح
ربما يأتي إذا صَعَّدتُ لله الدعــــاء
ربــما يأتي إذا رَجْرَجَتْ فـي عينـي
أو إذا أُشعلتْ في ليل الحزانى ضوءُ
آه ! كـم يشتاق بَابي نقرات من يديه
وجـداري الـساهم الظمـآن كـم يهفـو
خـلف بـابي ألـف حلـم يخنـق الـوهم
ألـف غـصن يحـرق الجـدب بـراعيم

وسريري كم على صدر سريري بت

أحـضن اللاشــيء أمـتص عـذاباتي

أمـضغ الآهات في صمت ضرير لا

مثـل طيـر راسـف فـي القيـد مجـروح

فارسي الموعود يا حلمي ويا فجري

أذرعـي تـدعوك مـن خلـف الـضباب

فـــارسي: ليـــل رفيقـــاتي مـــراح (1)

وأنـا ليلـي ريـاح وجـراح ونـــــواح

وشـــبابي وردة عذراء نامت مقلتاها

فـوق حلـم هـارب الأطيـاف يمـتص

كم علـى صـدر ظنونـي البيض نقلت

كم زرعت الغـيب والمجهول بحثًـا

كم تراءى لي وكم قبلت في الصمت

وحنينـي كم مشى فـي التيـه يستجدي

(1) الصُّدَاح: رفـع الـصوت بغنـاء ونحـوه. (ابـن منظـور، مرجـع سـابق، ج2، ص508).

الـفراغ الجهـم مـن حـولي وأحلامـي
وبقايـــا وردة فـــي حجرتـــي ماتـــت
غـــير أنـي خلـفَ قـضباني سـأدعوه
ربمـا صـادَفت فيـه فارسـًا شهمـًا
ربــــما ينـسل مـن خلـف مجاهيـل
ليــــدق البــــاب دقــــات رقيقــــات[1]

أختـــي: كفــاك مــن هــذا. "كوني مؤمنة بأن المقدر كائن؛ فلمـاذا التضجـر ؟! ولماذا الشكـوى ؟! لماذا لا تسلّميـن أمرك إلى الله تعالى، وتريحيـن نفســك مـن مشاعـر الكآبـة، والتشـاؤم، والسوداوية؟

ألا يريحـك، ويطمئن نفسـك، ويطيِّـب خـاطرك أن الله – تعالى – عالم بحالك، مثيب لك على صبرك ؟!"[2] ألم تسمعي قول الرسول ﷺ: «عَجَبًا لأَمْرِ الْمُؤْمِنِ إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ، وَلَيْسَ ذَاكَ لأَحَدٍ إِلا لِلْمُؤْمِنِ: إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءُ صَبَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ»[3] .

---

(1) الأبيات باختصار للشاعر : محمد أحمد العزب، "خواطر عانس"، مجلة الأزهر، (جمادى الأولى 1382هـ)، ص351- 352 .
(2) العويد، **غير متزوجات ولكن سعيدات**، مرجع سابق، ص45 .
(3) رواه أحمد، ح (18455)؛ ومسلم، ح (2999) .

وفي الختام أوصيك بتقوى الله – تعالى - وكثرة الدعاء والالتجاء إلى المولى – سبحانه - وأن يكون لك من كل عبادة نصيب، ﴿ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۝ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ۚ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَـٰلِغُ أَمْرِهِۦ ۚ قَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَىْءٍ قَدْرًا ﴾[1].

والسلام عليك ورحمة الله وبركاته.

⊠⊠⊠⊠⊠⊠⊠⊠⊠⊠⊠⊠⊠

بعد أن قرأتِ هذه الرسالة قراءة المعتبرة الحذرة أن يتقدم بها العمر وينصرف عنها الخطاب فيكون حالك - لا قدَّر الله - حال من تَعنيها هذه الرسالة، فاعلمي أنَّ الزمن لا يرحم ، وأنَّك **إنْ لم تغتنمي فُرصَهُ قبل فوات تكرارها فإنَّه ينساك بلا رحمة.** وإنْ ندمت على ما فات من العمر وما رَدَدْتِ من الخُطَّاب، فإن دموع الندم لا تجدي نفعًا، فلن يرجع الزمن إلى الوراء طرفة عين؛ فالسعيد من وُعِظ بغيره، والشقي من وُعِظ بنفسه، ووُعِظ به الناس.

عليك **إن تَقدَّم لك من ترضين دينه وخُلقه أن تظفري به،** وهذا مما حث عليه النبي ﷺ عندما وجه حديثه إلى

(1) سورة الطلاق، بعض الآية: 2 إلى الآية: 3.

الرجال، وهو معنى يصلح للمرأة أيضًا، حيث قال: «تُنْكَحُ الْمَرْأَةُ لأَرْبَعٍ لِمَالِهَا وَلِحَسَبِهَا وَلِجَمَالِهَا وَلِدِينِهَا فَاظْفَرْ بِذَاتِ الدِّينِ تَرِبَتْ يَدَاكَ»[1] .

ولا يخفى على الفتاة أنَّ الوردة الجميلة الفوَّاحة لها زمن إذا وصلته أخذت في الذبول، وأن عاشق الورد لا ينظر إلى الوردة الذابلة.

اعلمي - وفقك الله - **أنَّ رَدَّ الخاطب الكفء خطرٌ عظيم**، فقد قال ﷺ: «إِذَا جَاءَكُمْ مَنْ تَرْضَوْنَ دِينَهُ وَخُلُقَهُ فَأَنْكِحُوهُ، إِلا تَفْعَلُوا تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الأَرْضِ وَفَسَادٌ». قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ: وَإِنْ كَانَ فِيهِ ؟ قَالَ: «إِذَا جَاءَكُمْ مَنْ تَرْضَوْنَ دِينَهُ وَخُلُقَهُ فَأَنْكِحُوهُ» ثلاث مرَّات[2]. وفي رواية: «إِلا تَفْعَلُوا تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الأَرْضِ وَفَسَادٌ عَرِيضٌ»[3]، فتأملي في الحديث قوله: (فَأَنْكِحُوهُ)، أي: زوِّجُوه، وهذا أمر من النبي ﷺ ، وقد قال الله – تعالى- محذرًا الذين يخالفون أمر نبيه: ﴿ فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ

(1) رواه البخاري، ح (5090)؛ ومسلم، ح (1466).
(2) رواه الترمذي، وقال : حسن غريب، ح (1085)؛ وحسنه الألباني، **إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل**، ط2، (بيروت، المكتب الإسلامي، 1405هـ)، ج6، ص266، ح (1868) .
(3) رواه الترمذي، ح (1084)؛ وابن ماجه، ح (1967)؛ وحسَّنه الألباني، في المرجع نفسه في الحاشية السابقة، وفي **سلسلة الأحاديث الصحيحة**، مرجع سابق، ج3، ص20، ح (1022).

عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[1]، فلتحذر الفتاة ووليها قبل أن يردَّا الخاطب الكفء لأيِّ سبب من الأسباب، أن يكون هذا الردُّ سببًا في فتنة تصيب الفتاة أو عذاب يصيبها، فقد تكون الفتنة انحرافها وضلالها، وقد يكون العذاب عنوستها وأمراضًا تصيبها، حماها الله وأبعد عنها العذاب والشرور.

عُودي بعد أيام إلى قراءة هذا الدراسة مرة أخرى وثالثة حتى تقتنعي بفكرتها؛ فإنَّها ناصحة لك، محبة لأن تنالي خيري الدنيا والآخرة؛ فإنَّك ستواجهين صراعًا بين عاطفتك وعقلك، بين الخيال والواقع، بين طموحاتك وواقع لا يساعد على تحققها، بين عقل حكيم وبين شموخ نفس وتعاليها وإبائها أن تتنازل كثيرًا عن شروطها وأحلامها.

توكَّلي على إلهك وخالقك، واعزمي، وأحسني الظن بربك فلن يضيعك.

أسأل الله – تعالى - بأسمائه الحسنى وصفاته العليا أن يجعل ما يكتبه لك ويُقدِّره عليك من صفات في شريك عمرك خيرًا مما تظنين وتُريدين، وأن يُسبغ عليك لباس الصحة، ويملأ قلبك سعادة وقناعة، وأن يوفقك لخيرَي الدنيا والآخرة.

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم.

(1) سورة النور، من الآية: 63.



فهرس العناوين

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة
وفات القطار ! (رسالة ليست إليك)	72
خاتمة	78